الشيخ حافظ الحكمي حياته وجهوده العلمية والعملية

تأليف الشيخ زيد بن محمد المدخلي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علم بالقلم, علم الإنسان ما لَم يعلم, وأشهد أن لا إله إلا الله الذي أرسل رسله بالدعوة إلى العلم النافع والعمل الصالح، وجعل لهم من عباده عبر تاريخ زمانِهم حواريين وأصحابًا يهدون بِهديهم ويستنون بسنتهم ويدعون إليها في حال حياتِهم وبعد مماتِهم، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم, وأشهد أن نبينا محمدًا عبد الله ورسوله، ومصطفاه من بريته, المبعوث رحمة للعالمين, والمرسل إلى كافة الثقلين، فهدى الله به بعد الضلالة, وبصر به بعد العمى،

وجمع به بعد الفرقة، وأغنى به بعد العيلة, وأقام به الحجة، وأنار به المحجة, وختم به الرسل, وأتم به النعمة وأكمل لنا بواسطته الدين, اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وارض اللهم عن صحابته أجمعين وعن من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، واجعل لنا ولهم قدم صدق عندك يا خير الراحمين، وذكرًا حسنًا في عبادك الصالحين، أما بعد أيها الأخوة في الله، لقد أتتني رسالة من رئيس النادي الأدبي في مدينة جازان -جعله الله معمورًا بطاعته- تحمل في سطورها طلبًا غاليًا شريفًا في حد ذاته، ومحبوبًا إلى نفسي كما كان محبوبًا إلى نفوس العاملين في النادي، ألا وهو ترجمة للعلامة الجليل الحبر الحافظ المجتهد حافظ بن أحمد علي الحكمي -رحمه الله وطيب في البرزخ والآخرة حياته- فحاولت أن أكتب على الرسالة اعتذارًا اكتفاءً بِما قد كتبته في هذا الموضوع في بعض كتبي المطبوعة وبما كتبه غيري من الأخوة الأفاضل من قبلي ومن بعدي، فعدلت إلى الاستخارة المشروعة في الإقدام أو الإحجام فاهتديت بعدها إلى العزم على الكتابة في الموضوع مستعينًا بالله الذي

علمنا الاستعانة به في كل ما نأتي ونذر حيث قال عز من قائل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥].

وقبل الشروع في التمهيد للموضوع وصلبه أحب أن أوجه سؤالاً إلى الأخوة الحضور قبل أن يوجهوا إليّ أسئلتهم. هذا السؤال هو: ما سر اختيار النادي للشيخ حافظ - رحمه الله - كي يخص من بين أفراد علماء منطقة الجنوب ووجهائها بترجمة مفصلة لحياته وجهوده العلمية والعملية؟! وأبادر فأشارك الجمهور في الجواب فأقول: إن السبب واضح والمسوغ موجود، ألا وهو ما حبا الله به هذا الإمام من طول باع في العلوم الشرعية وكافة وسائلها المتعلقة بِها، ثُمَّ القدوة الحسنة الَّتِي حاز المقام الرفيع فيها، وإذ كان الأمر كذلك فإنني قد ألزمت نفسي بأن تكون هذه المحاضرة مكونة من بابين وخاتمة. أما البابان فالأول منهما حديث مختصر عن بيان فضل العلم وشرف أهله في الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ويشتمل على ما يلي:

أ- الأدلة الصحيحة الصريحة على فضل العلم وشرف أهله من الكتاب العزيز والسنة الكريمة.

ب- ضرورة التلازم بين العلم والعمل وبيان أنه لا يجدي أحدهما شيئًا إلا بالآخر.

ت- فضل العلماء الربانيين على العباد المخلصين.

ث- العلوم الشرعية قسمان: أصول، وفروع.

ج- الترغيب في التوسع في كسب العلم وما يترتب عليه من الثواب العاجل والآجل.

ح- أمثلة من وصايا العلماء الناصحين بالعناية بالعلم وطلابه.

والباب الثاني: ترجمة مختصرة للشيخ حافظ الحكمي ويشتمل على ما يلي:

١ - نسبه وأسرته.

٢ - مولده ونشأته.

٣ - صفاته الخلقية، وحالته الاجتماعية.

٤ - أسباب نبوغه في العلم وتفوقه فيه على جميع أقرانه بل وعلى سائر علماء زمانه.

٥ - نظرته إلى المجتمعات الإسلامية ونظرتُها إليه.

٦ - مؤلفاته المطبوعة والمخطوطة وإيراد أمثلة منها شعرًا ونثرًا.

٧ - إسهامه في الدعوة إلى الله وبذل النصح لعباد الله.

٨ - رثاؤه وثناء الناس عليه.

وأما الخاتمة فهي إيضاح لما للقدوة الحسنة من الأثر الكريم في نفوس محبي الخير والفضل والإحسان من أولياء الكريم الرحمن.

الباب الأول

في بيان فضل العلم وشرف أهله

حقًّا إن المتتبع لنصوص كتاب الله العظيم وسنة النَّبِي الكريم وآثار سلفنا الصالح يجد كثيرًا منها يحمل في مبناه ومعناه الثناء الجميل على العلم الشرعي الشريف وعلى أهله الذين اختارهم الله لحمله وتبلغيه، فحملوه وعقلوه وأحبوه وعملوا به آناء الليل وأطراف النهار سرًّا وجهرًا ورغبًا ورهبًا وطوعًا

واختيارًا، وها أنا سأذكر ما يتيسر لي ذكره وتدوينه في هذه المحاضرة على وجه السرعة لكي أصل إلى صلب الموضوع قبل إملال القارئ وتأخيره عن التزاماته الضرورية.

١- قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ ۖ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة:٣١-٣٣].

فقد دلت هذه الآيات الْمُحكمات على فضل العلم الشرعي وشرفه العظيم وتكريم الله لأهله، وإعلان فضلهم على من عداهم ولو كانوا ملائكة كرامًا.. فله الحمد المطلق والمنة الدائمة.

٢- وقال تعالى: ﴿۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الرعد:١٩].

والمعنى كما قال ابن كثير -رحمه الله-: "لا يستوي من يعلم من الناس أن الذي أنزل إليك يا محمد من ربك هو الحق الذي لا

شك فيه ولا اختلاف, بل كله حق يصدق بعضه بعضًا وأوامره ونواهيه عدل، ومن هو أعمى لا يهتدي إلى خير، ولا يفهمه، ولو فهمه ما انقاد إليه ولا اتبعه " اهـ.

قلت: ومن أمعن النظر في الآية المذكورة عَلِمَ علم اليقين أن العالم بالله وبأمره لا يستوي هو ومن عاش في دار العمل في جهله وضلاله. وأنَّهما لا يلتقيان في خط بحال لأن الضدين لا يجتمعان، والنقيضين لا يتفقان، وحقًّا ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم (من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، والله المعطي وأنا القاسم، ولا تزال هذه الأمة ظاهرين على من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون)(١).

٣- وقال عز وجل : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: من الآية٩].

أي: لا يستوي من كان عالِمًا بربه وعالِمًا بدينه الشرعي والجزائي وما له سبحانه في ذلك من الحكم والأسرار، ومن لا يعلم من ذلك شيئًا، لا يستوي هؤلاء وهؤلاء كما لا يستوي الليل والنهار، والظلام والضياء, والنار والماء وغيرها من المتضادات وعليه فالآية دليل صريح على فضل العلم ومقامه

الرفيع وعلى فضل العلماء الشرفاء ونبلهم الأصيل وأعني بِهم الذين وفقهم خالقهم وبارئهم للعمل بعلمهم في غبطة وسرور إذ لا لذة لذوي الإيْمان في حياة العمل إلا في العلم بشرع الله الطاهر النقي، والعمل به ابتغاء وجه الله ونيل رضاه والفوز بسعادة الدنيا ونعيم والآخرة.

---

(١) البخاري في كتاب العلم قبل القول والعمل (ج ١ ص ٢٥).

٤- وقال -تبارك وتعالى-: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران: من الآية١٨]. فإن في هذه الآية الكريمة بيان فضيلة العلم الشرعي، والعلماء به حيث خصهم الله بالذكر من دون سائر البشر، وقرن شهادتَهم بشهادته الصادقة العادلة، وشهادة ملائكته البررة الكرام، وجعل شهادتَهم تلك من أبرز الأدلة وأكبر البراهين على توحيده سبحانه، وثبوت دينه وجزائه وأوجب على جميع المكلفين قبول هذه الشهادة العادلة الناطقة بالحق، وفي ضمنها تعديلهم، وأن الخلق تبع لهم وأنَّهم هم أئمة الهدى ومصابيح الدجى ودعاة الخير وقادة الصلاح والفلاح والإصلاح لمن وفق للإئتمام بِهم، والتطلع إلى الفضل الذي نالوه والشرف الذي

أحرزوه، والمكانة الَّتِي ظفروا بِها والَّتِي لا يحدد قدرها أحد من البرية فهنيئًا لهم كل ما ذكر وغيره معه.

٤- وقال عز وجل : ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: من الآية٢١].

٥- وقال عز وجل : ﴿وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: من الآية١١].

وهذه الآية كسابقتها في فضيلة العلم وأن زينته، وثمرته في التأدب بآدابه والتحلي بفضائله والعمل بِما دل عليه وارتضاه واقتضاه.

٦- وقال -تبارك وتعالى-: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: من الآية٧٩]. قال ابن عباس فيها: أي: كونوا علماء فقهاء، وقد ذكر العلماء في وجه هذه التسمية أقوالاً منها:

أ- لأنَّهم يربون العلم أي يقومون به كما يقال لكل من قام بإصلاح شيء وإتمامه ربَّه يربُّه فهو ربٌّ له.

ب- وقيل: سموا بذلك لأنَّهم يربون المتعلمين بصغار العلوم قبل كبارها. وزيدت الألف والنون للمبالغة في النسبة.

ج- وقيل: الربانيون هم العلماء بالحلال والحرام. ومن ضمن ما قال ابن جرير في تفسيرها: "الربانيون هم عماد الناس في الفقه والعلم وأمور الدين والدنيا" وكذا قال مجاهد: "هم فوق الأحبار، لأن الأحبار هم العلماء والرباني الجامع بين العلم والفقه، البصير بالسياسة والتدبير والقيام بأمور الرعية وما يصلحهم في دينهم ودنياهم".

٧- ولفضل العلماء بالله وبأمره فقد وصفهم بخشيته بل حصرها فيهم حيث قال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: من الآية٢٨]، وما ذلك إلا لأنَّهم يدلون على من خصهم بالعلم بقولهم السديد وسمتهم الطيب وعملهم الصالح المجيد.

٨- كما وصفهم جل وعلا في آخر سورة الفرقان باثنتي عشرة صفة من صفات الكمال الَّتِي ارتضاها لعباده ودعاهم إلى التحلي بِها حيث قال:

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان:٦٣]. إلى نِهاية قوله: ﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا

تَحِيَّةً وَسَلَامًا (٧٥) خَالِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان:٧٥-٧٦].

٩- ويكفي العلم شرفًا وفضلاً, وأهله سعادة وسيادة ونبلاً أن قد جعله الله إمامًا للعمل وشرطًا في صحته وقبوله إذ قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد:١٩]. فبدأ بالعلم قبل القول والعمل كما قال في شرف حامليه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة:٢٤]. وغير هذه الآيات في فضل العلم والعلماء كثير. وأما ما صح من سنة النَّبِي صلى الله عليه وسلم فهو كذلك كثيرًا جدًّا ومنه:

١- ما رواه الإمام أحمد وغيره من حديث قيس بن كثير حيث قال: قدم رجل من المدينة إلى أبي الدرداء وهو بدمشق فقال: ما أقدمك أي أخي قال: حديث بلغني أنك تحدث به عن رسول الله ﷺ، قال: أما قدمت لتجارة؟ قال: لا، قال: أما قدمت لحاجة؟ قال: لا، قال: ما قدمت إلا في طلب هذا الحديث؟ قال: نعم، قال: فإنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سلك الله به طريقًا إلى

الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضًا لطالب العلم، وإنه ليستغفر للعالم من السموات والأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، إن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لَم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنَّما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر). هذا لفظ أحمد(١).

٢- وما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة, ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة؛ وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده, ومن بطأ به عمله لَم يسرع به نسبه) (٢) ففي هذا الحديث عدة مسائل، أذكر منها ثلاثًا.

الأولى: فضل العلم وشرف الرحلة فيه.

الثانية: تكريم الملائكة للعلم وطلابه حيث تضع لهم أجنحتها تواضعًا وتوقيرًا.

الثالثة: تسخير الله للحيوانات في الاستغفار لطلاب العلم، وما ذلك إلا لأنَّهم أهل المعرفة بالحلال والحرام، وبالحقوق المتعلقة بِما يجوز وما يمتنع، وما يحل وما يحرم في كل جانب من جوانب الدين.

وفي الحديث الثاني ترغيب عظيم في أعمال جليلة وأخلاق كريمة تدل على حسن خلق صاحبها ورحابة صدره وصفاء قلبه وجودة عقله وفكره ألا وهي:

أ- تنفيس كرب المكروبين من المسلمين وغيرهم في حدود ما يقره الشرع ويقدر عليه البشر.

ب- والتيسير على المعسرين ابتغاء ثواب الله ورحمة بعباده.

ج- ومد يد العون والمساعدة للإخوة المؤمنين، وستر عوراتِهم والتغاضي عن زلاتِهم، وسلوك طريق طلب العلم الشريف ميراث الأنبياء والمرسلين.

(١) أخرجه أحمد في المسند (ج ٥ ص ١٩٦)، والدارمي (ج ١ ص ٩٨) وأبو داود في كتاب العلم باب الحث على طلب العلم (ج ٣ رقم ٣٦٤١ ص ٣١٧) عن كثير بن قيس، وابن ماجه في المقدمة (ج ١ رقم ٢٢٣ ص ٨١)، وصححه الحاكم وابن حبان وله شواهد يتقوى بِها كما قال الحافظ بن حجر في الفتح (ج ١ ص ١٦٩): فهو حديث حسن.
(٢) رواه مسلم في كتاب الفكر والدعاء باب فضل الاجتماع على قراءة القرآن (ج ٤ رقم ٢٦٩٩).

د- ومدارسة كتاب الله الكريم, الذي نزل به الروح الأمين, على قلب سيد المرسلين, بلسان عربي مبين, كما فيه أيضًا بيان جلي لما يترتب من الجزاء الكريم الحسن على تلك الأفعال الحميدة والأخلاق النبيلة الَّتِي ارتضى الله أن يكون الجزاء عليها من جنسها، فتأمل يا طالب العلم فقرات هذا الحديث فإنك ستجد أعلى تلك الصفات هي طلب العلم، وستجد أكمل الجزاء وأجزله هو ما يترتب عليه من شرف الدنيا ولذة الحياة فيها ونعيم الآخرة وأبدية المقام فيها.

٣- وما رواه الشيخان من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النَّبِي صلى الله عليه وسلم قال: (إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضًا فكانت منها

طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأَ والعشب الكثير, وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بِها الناس فشربوا منها وسقوا ورعوا، وأصاب طائفة منها أخرى إنَّما هي قيعان لا تُمسك ماءً ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلَّم. ومثل من لَم يرفع بذلك رأسًا ولَم يقبل هدى الله الذي أرسلت به)(١). ففي هذا الحديث حث صريح على طلب العلم وتلقيه للعمل به وتبلغيه ونشره وقد اعتبر النَّبِي صلى الله عليه وسلم فيه قلوب الناس كمثل الأرض في قبول الماء وعدم قبوله، فشبه من تحمل العلم والحديث وتفقه فيه بالأرض الطيبة أصابَها المطر فأنبتت وانتفع الناس بِها. وشبه من تحمل العلم ولكنه لَم يتفقه فيه كالأول بالأرض الصلبة لا تنبت، ولكنها تمسك الماء فيأخذه الناس فينتفعون به, وشبه النوع الثالث بالأرض الَّتِي هي قيعان سبخة لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأ وذلك لأنَّهم لا خير فيهم، إذ ليست لهم قلوب حافظة، ولا أفهام واعية فإذا سمعوا لَم يفهموا ولَم ينتفعوا فتأمل يا أخي المسلم في هذا التقسيم النبوي الكريم واحرص أن تكون فردًا من أفراد الطائفة الأولى الذين شرفهم الله بالعلم والفقه فيه وتبليغه ومحبته ونشره.

* * *

(١) رواه البخاري في العلم باب فضل من علم وعلم (ج١ ص٢٢) ومسلم في الفضائل باب بيان مثل ما بعثني النَّبِي صلى الله عليه وسلم من الهدى والعلم (ج٢ رقم ٢٢٨٢ ص١٧٨٧).

العلوم الشرعية قسمان

قال الإمام البغوي -رحمه الله-: العلوم الشرعية قسمان:

(أ) علم الأصول.

(ب) علم الفروع.

أما علم الأصول فهو معرفة الله سبحانه وتعالى بالوحدانية والصفات وتصديق الرسل، فعلى كل مكلف معرفته ولا يسع فيه التقليد لظهور آياته ووضوح دلائله قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: من الآية١٩]. وقال عز وجل : ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: من الآية٥٣].

وأما علم الفروع فهو علم الفقه ومعرفة الأحكام فينقسم إلَى: فرض عين وفرض كفاية، أما فرض العين فمثل علم الطهارة والصلاة والصوم فعلى كل مكلف معرفته، قال النَّبِي صلى الله عليه وسلم (طلب العلم فريضة على كل مسلم)(١) وكذلك كل عبادة أوجبها الله على كل واحد فعليه معرفة علمها مثل علم الزكاة إن كان له مال، وعلم الحج إن وجب عليه، وأما فرض الكفاية فهو أن يتعلم ما يبلغ به رتبة الاجتهاد، ودرجة الفتيا، فإذا قعد أهل بلد عن تعلمه عصوا جميعًا وإذا قام واحدٌ منهم بتعلمه فتعلمه، سقط الفرض عن الآخرين، وعليهم تقليده فيما يعن لهم من الحوادث قال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: من الآية٤٣].

٤- وما رواه البخاري وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين , والله المعطي وأنا القاسم ولا تزال هذه الأمة ظاهرين على من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون)(٢). ففي منطوق هذا الحديث الجليل شهادة كريمة من الصادق الأمين على فضل العلم وأهله الذين بذلوا الجهد الكبير في

تعلمه ليعملوا به مدة حياتِهم امتثالاً لأمر الله، وحرصًا على متابعة رسول الله، وحبًّا في نيل الرضا من الله وكسب السعادة الدائمة في حياة العمل، وحياة الجزاء عليه في البرزخ ويوم يقوم الأشهاد, كما أن في مفهومه أيضًا شهادة ظاهرة عادلة له من المصطفى الكريم -عليه الصلاة والسلام- على ذلك الجهل بالدين واختيار متاع الحياة الدنيا وزينتها والتلهي بِها عن الحكمة الَّتِي أوجد الله البرية من أجلها "ألا وهي عبادته وحده" بكل ما تحمل كلمة العبادة من معنى، فضع يا أخي المسلم نفسك في المكان الذي ارتضاه لك ربك ورغبك فيه، وحثك عليه نبيك لتفوز بسعادة الدارين. وتنجو من الشقاء فيهما، وإياك إياك أن توبق نفسك بإعراضك عن التفقه في دين الله وإهمالك العمل به فتكون من الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة وذلك هو الخسران المبين.

(١) أخرجه ابن ماجه في المقدمة باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (ج١ رقم ٢٤) من حديث أنس. قال الألباني: واعلم أن السيوطي قد جمع هذه الطرق حتى أوصلها إلى الخمسين وحكم من أجلها على الحديث بالصحة وحكم العراقي بصحته عن بعض الأئمة وحسنه غير واحد والله أعلم وأما زيادة (ومسلمة) الَّتِي اشتهرت على الألسنة فلا أصل لها البتة وأما الزيادة الَّتِي وقعت في أوله في بعض الطرق (اطلبوا العلم ولو في الصين) فباطلة كما بينته في الأحاديث الضعيفة انظر مشكاة المصابيح (ج١ ص٧٦). علمًا أن الألباني قد حكم بصحته في صحيح ابن ماجه (ج١ رقم ١٨٣ ص٤٤).

(٢) رواه البخاري في كتاب الخمس (باب ٧ ج١٤ ص٤٩)، ومسلم في كتاب الإمارة (باب ١٧ ج١٣ ص٦٧) بشرح النووي (رقم ١٦٢٤).

٥- وما رواه الشافعي والترمذي وابن ماجه وغيرهم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (نضر الله امرءًا سمع مقالتي فبلغها فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه). وزاد فيه علي بن محمد (ثلاث لا يغل عليهم قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، والنصح لأئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم)(١).

وفي هذا الحديث دعاء رحيم ممن أوتي جوامع الكلم وحبب إلى قلبه الرحيم العلم والعلماء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالنضارة لحملة العلم ورواة الحديث، ومبلغيه إلى غيرهم من محتاجيه برعاية وأمانة وصدق وإخلاص ينشدون نشره وانتشاره، في دنيا البشر ليأخذوا منه زادهم، وهم في طريقهم إلى الله مولاهم الحق، وليحشروا تحت لواء صاحب المقام المحمود، والحوض المورود إمام العلماء العاملين وقائد المحدثين الأمناء الصادقين بل وجميع الغر المحجلين رسولنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين فأكرم بذلك شرفًا ومجدًا، وسعادة وملكًا كبيرًا، وودًّا لأهل الفقه في دين الله الذين يعملون به، ويبلغونه إلى عباد الله، وودًّا لأهل الحديث الذين تجشموا المصاعب والمتاعب في حفظه وروايته، ليكون لهم لسان صدق في الآخرين وذخرا دائمًا في جنات النعيم مع المنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

٦- وجاء في الأوسط للطبراني بإسناد حسن أن أبا هريرة رضي الله عنه مر بالسوق فقال: (يا أهل السوق ما أعجزكم ؟

قالوا: وما ذاك قال: ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم وأنتم هاهنا ! قالوا: وأين ؟ قال: في المسجد. فخرجوا سراعًا ثُمَّ رجعوا فقالوا: لَم نر فيه شيئًا يقسم، رأينا قومًا يصلون، وقومًا يقرءون القرآن، وقومًا يتذاكرون الحلال والحرام فقال: ويحكم فذاك ميراث نبيكم)(٢).

قلت: ومن أمعن النظر في هذا النص أدرك ما كان عليه أولئك العلماء الأمجاد الذين تخرجوا في مدرسة رسول الله صلى الله عليه وسلم كأبي هريرة وزملائه من المهاجرين والأنصار من حب للعلم الذي ورثه القائل: (إن العلماء ورثة الأنبياء)(٣). ولما له ولأهله من الفضل الكبير والقدر الجليل، وأنه هو الميراث الحقيقي الذي تنتفع به البشرية وتطيب به الحياة، لا بشيء سواه، حيث تحيا به القلوب بعد موتِها, وتصح به بعد سقمها, وتستيقظ به بعد غفلتها، وتنْزجر به النفوس عن جموحها وطغيانِها، وعن جريها وراء شهواتِها وعن تعديها لما يحل لها أن تتعداه إلى ما فيه حتفها وشقاؤها وتنقاد له الجوارح العاشقة طوعًا واختيارًا، طمعًا في مرضات ربِّها واستجابة لنداء الإيْمان الذي بذره العلم النافع في داخلها، وإذا كان الأمر

كذلك فالعلم العلم يا أخا الإسلام فإن مثل ذويه في الأرض كمثل النجوم في السماء يُهتدى بِها في ظلمات البر والبحر, فإذا انطمست النجوم أوشك أن تقل الهداة، والله يتولاك ويرعاك في آخرتك ودنياك.

---

(١) رواه أحمد في المسند (ج٤ ص٨٠) عن جبير بن مطعم عن أبيه، وأبو داود في العلم باب فضل نشر العلم (ج٣ رقم ٣٦٦٠ ص٣٢٢) عن زيد بن ثابت، والترمذي في العلم باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع (ج٥ رقم ٢٦٥٨ ص٣٤)، وابن ماجه في المقدمة باب من بلغ علمًا (ج١ رقم ٢٣٠ ص٨٤).

(٢) أورده الهيثمي في كتاب العلم باب فضل العالم والمتعلم (ج١ ص١٢٨)، وقال رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن.

(٣) سبق تخريجه.

٧- وما رواه الشيخان وغيرهما من حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد, إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقفا عليه فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها, وأما الآخر فجلس خلفه وأما الثالث فأدبر ذاهبًا, فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ألا

أخبركم عن النفر الثلاثة: أما أحدهم فآوى إلى الله فآواه الله، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه, وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه)(١).

قلت: وعند التأمل في هذا النص الكريم يستفيد المتأمل فيه أشياء جديرة بالاهتمام بِها:

الشيء الأول: أن الواجب على وارثي علم النَّبِي صلى الله عليه وسلم أن يجلسوا للناس ليفقهوهم في الدين ويهدوهم إلى الصراط المستقيم، في بيوت الله الطاهرة المعظمة الَّتِي بنيت لتؤدى فيها فرائض العلم ونوافله، وفرائض الصلاة ونوافلها وعبادة الاعتكاف فريضة أو نافلة اقتداء في كل ذلك بالنبي الكريم والمعلم العظيم الذي زكاه ربه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤].

فلقد كان جل جلوسه في المسجد معلمًا ومفتيًا وموجهًا ومرشدًا وآمرًا وناهيًا وذاكرًا ومصليًا.

والشيء الثاني: بيان فضل المشاركة في الجلوس في حلقات التفقه في الدين, ويالله كم من فضل وعز، وشرف وسؤدد في الجلوس المذكور قد ثبت نقله عن المعصوم ﷺ، ومنه:

أ- هذا الحديث.

ب- ومنه ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبِي صلى الله عليه وسلم قال: (إن لله -تبارك وتعالى- ملائكة سيارة فضلا يتبعون مجالس الذكر فإذا وجدوا مجلسًا فيه ذكر قعدوا معهم, وحف بعضهم بعضًا بأجنحتهم حتى يملأوا ما بينهم وبين السماء الدنيا, فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء, قال: فيسألهم الله عز وجل وهو أعلم بِهم: من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عباد لك في الأرض يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك, قال: وماذا يسألوني؟ قالوا: يسألونك جنتك، قال: وهل رأوا جنتي؟ قالوا: لا أي رب، قال: فكيف لو رأوا جنتي؟ قالوا: ويستجيرونك، قال: ومم يستجيرونني؟، قالوا: من نارك يا رب، قال: وهل رأوا ناري ؟ قالوا: لا، قال: فكيف لو رأوا ناري، قالوا: ويستغفرونك، قال: فيقول: قد غفرت لهم فأعطيتهم ما سألوا وأجرتُهم مِمَّا استجاروا، قال: فيقولون: رب فيهم فلان عبدٌ خطّاء إنَّما مرّ فجلس معهم، قال: فيقول: وله غفرت هم القوم لا يشقى بِهم جليسهم)(٢).

ج- ومنه ما أورده الهيثمي في المجمع معزوا إلى الطبراني في الكبير من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا. قالوا: يا رسول الله وما رياض الجنة ؟ قال: مجالس العلم). وغير ذلك في هذا المعنى كثير.

---

(١) رواه البخاري في كتاب العلم باب من قعد حيث ينتهي به المجلس (ج١ ص١٩، ٢٠)، ومسلم في السلام باب من أتى مجلسًا فوجد فرجة (ج٤ رقم ٢١٧٦ ص١٧١٣).

(٢) رواه البخاري في الدعوات باب فضل ذكر الله عز وجل (ج٨ ص٧٣)، ومسلم في الذكر والدعاء باب فضل مجالس الذكر (ج٤ رقم ٢٦٨٩ ص٢٠٦٩).

الشيء الثالث: خطر الإعراض عن طلب علم أصول الدين وشرائعه الواجبة الَّتِي سبق أن دونا عدم جواز التقليد فيها، وبيان أن الجهل بِها سبب في العذاب المهين، وذلك أن من أعرض عن مجالس التفقه في دين الله فإنه سيعيش حتمًا في هذه الحياة أعمى، وسيحشر يوم القيامة على ما مات عليه أعمى كما قال المولى الكريم سبحانه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي

فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه:١٢٤-١٢٦]. وقال أيضًا: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:٧٢].

٨- وما رواه أحمد وغيره بإسناد جيد من حديث صفوان بن عسال المرادي رضي الله عنه قال: (أتيت النَّبِي صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد متكئًا على برد له أحمر فقلت له: يا رسول الله جئت أطلب العلم, فقال: مرحبًا بطالب العلم، إن طالب العلم تحفه الملائكة بأجنحتها، ثُمَّ يركب بعضهم بعضًا حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب)(١). فانظر يا طالب العلم مدى قدر العلم وقدر طالبه في ميزان الشرع القويم, وخذ القدوة الرشيدة من هذا الخلق الكريم، وقل على سبيل الدوام مرحبًا بطالب العلم قولاً وفعلاً، واعلم أن القول وحده لا يجدي إذا لَم يصاحبه العمل عن محبة وصدق واقتناع, ورحم الله الشيخ حافظًا القائل:

ومرحبًا قل لمن يأتيك يطلبه ... وفيهم احفظ وصايا المصطفى بِهم

٩- وما رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له)(٢). ففي هذا الحديث القصير بشرى كريمة لمن وفقه الله في حياة العمل ومكنه من تقديْم تلك الثلاثة مجتمعة, فقدم صدقة جارية كوقف يدر على طلاب العلم الشريف، أو على سواهم من الفقراء والمساكين من المسلمين، أو في مشروع من المشاريع النافعة للإسلام والمسلمين فإن ثواب ذلك يجري على من أجراه في حال الحياة وبعد الممات. وقدم علمًا شرعيًّا تنتفع به الأمة في حياتِها وبعد مماتِها بطريق تعليمه أو بطريق تأليفه أو بأية واسطة من وسائل النفع, وقدم ولدًا صالحًا من ذكر أو أنثى بحيث رباه تربية صالحة وطالت به الحياة بعد موته, فإن كل ما عمله من خير مطلقًا فإن للوالد الكافل المربي نصيبًا وافرًا من أجر ذلك الخير, سواءً كان واجبًا أو مستحبًا, ومن جملة

ذلك الدعاء في الصلاة وغيرها، ومن لَم يتمكن إلا على تقديْم البعض من تلك الثلاثة فله نصيب من الأجر, وربك الغفور ذو الرحمة لا يضيع عمل عامل من ذكر أو أنثى وهو مؤمن، وغير هذه الأحاديث في فضل العلم والعلماء كثير وإنَّما ذكرت هذه التسعة منها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر كما هو معلوم لدى المستمعين الكرام والقراء الأفاضل.

---

(١) رواه أحمد في المسند (ج٤ ص٢٤١)، والترمذي في الدعوات باب في ذكر التوبة والاستغفار (رقم ٣٥٣٦ ص٥٤٦)، والآجري في أخلاق العلماء (ص١٠٠) وإسناده حسن، والمنذري في الترغيب والترهيب (ج١ ص٧٤).

(٢) رواه مسلم في كتاب الوصية باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته (ج٣ رقم ١٦٣١ ص١٢٥٥).

وأما ما ثبت من الآثار في فضل العلم وأهله عن سلفنا الصالح أصحاب القرون المفضلة ومن تأسى بِهم فهي كثيرة ومدونة في مظانِها تحمل الترغيب العجيب في التحلي بالعلم والعمل به؛ لأنه ميراث النبوة والمنقذ من الجهل والهادي إلى صراط الله المستقيم والمحذر من طرق أصحاب الجحيم ومنها:

١- قول ابن مسعود رضي الله عنه : "وعليكم بالعلم فإن أحدكم لا يدري متى يفتقر إلى ما عنده"(١).

٢- ومنها: قول معاذ بن جبل رضي الله عنه : "تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة لأنه معالم الحلال والحرام، ومنارات أهل الجنة، وهو الأنيس في الوحشة، والصاحب في الغربة، والمحدث في الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والسلاح على الأعداء، والزين عند الأخلاء، يرفع الله به أقوامًا فيجعلهم في الخيرة قادة وأئمة تقتص آثارهم ويقتدى بفعالهم، وينتهى إلى رأيهم، وترغب الملائكة في خلتهم وبأجنحتها تمسحهم، يستغفر لهم كل رطب ويابس، وحيتان البحر وهوامه، وسباع البر وأنعامه، لأن العلم حياة القلوب من الجهل، مصابيح الأبصار من الظلم، يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار والدرجات العلى في الدنيا والآخرة، التفكر فيه يعدل الصيام، ومدارسته تعدل القيام، وبه توصل الأرحام، وبه يعرف الحلال والحرام، إمام العمل والعمل تابعه, يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء "(٢).

٣- ومنها: قول ابن عباس رضي الله عنهما: "تدارس العلم ساعة من الليل خير من إحيائها".

٤- ومنها: قول ابن مسعود أيضًا لأصحابه: " كونوا ينابيع العلم مصابيح, الهدى, أحلاس البيوت, سرج الليل, جدد القلوب, تعرفون في السماء وتخفون على أهل الأرض"(٣).

٥- ومنها: قول الحسن البصري -رحمه الله-: "من طلب العلم يريد به ما عند الله كان خيرًا له مِمَّا طلعت عليه الشمس"(٤).

٦- ومنها: قول قتادة: "باب من العلم يحفظه الرجل لصلاح نفسه، وصلاح من بعده أفضل من عبادة حول ". ومنها قول سفيان الثوري -رحمه الله-:" ليس عمل بعد الفرائض أفضل من طلب العلم".

٨- ومنها: قول ابن وهب -رحمه الله-: "كنت عند مالك بن أنس قاعدًا أسأله, فرآني أجمع كتبي لأقوم, قال مالك: أين تريد ؟ قال: أبادر إلى الصلاة قال: ليس هذا الذي أنت فيه دون ما تذهب إليه إذا صحت فيه النية"(٥).

٩- ومنها: قول سفيان في تفسير الجماعة: " لو أن فقيهًا على رأس جبل لكان هو الجماعة"(٦).

١٠- ومنها: قول الحسن بن صالح: "الناس يحتاجون إلى العلم في دينهم كما يحتاجون إلى الطعام والشراب في دنياهم"(٧).

١١- ومنها: قول الشافعي: "طلب العلم أفضل من صلاة النافلة" (٨). وغير هذه الآثار في فضل العلم والعلماء كثير لا يستطاع حصرها في مقام كهذا.

قلت: ولقد ترنم الشعراء بفضل العلم والعلماء عبر تأريخ عصورهم وفيما يلي مقتطفات من أشعارهم، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في كلام الحكيم ويعني به صاحب العلم:

كلام الحكيم حياة القلوب ... كوبل السماء غياث الأمم

فنطق الحكيم جلاء الظلم ... وصمت الحكيم وعاء الحكم

حياة الحكيم جلاء القلوب ... كضوء النهار يجلي الظلم

وقال الوراق -رحمه الله-:

(١) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (ج١ ص١٢٩).

(٢) انظر كتاب جامع بيان العلم وفضله (ج١ ص٥٥).

(٣) المصدر السابق.

(٤) انظر شرح السنة للبغوي (ج١ ص٢٧٩).

(٥) المصدر السابق. قلت: يريد مالك انتظار الصلاة في المسجد لا الصلاة فيه.

(٦) المصدر السابق.

(٧) المصدر السابق.

(٨) المصدر السابق.

والعلم زين وتشريف لصاحبه ... أتت إلينا بذا الأنباء والكتب

والعلم يرفع أقوامًا بلا حسب ... فكيف من كان ذا علم له حسب

فاطلب بعلمك وجه الله محتسبًا ... فما سوى العلم فهو اللهو واللعب

وقال آخر:

العلم زين وكنْز لا نفاد له ... نعم القرين إذا ما عاقلاً صحبا

قد يجمع المرء مالاً ثُمَّ يسلبه ... عما قليل فيلقى الذلَّ والحربا

وجامع العلم مغبوط به أبداً ... فلا يحاذر موتًا لا ولا هربا

يا جامع العلم نعم الذخر تجمعه ... فلا تعدلنَّ به درًّا ولا ذهبا

وقال الشيخ سليمان(١) بن سحمان في الثناء على العلم والحث على طلبه:

يا تاركًا في مراضي الله أوطاناً ... وسالكًا في طريق العلم أحزاناً

كن باذل الجد في علم الحديث تنل ... كل العلوم وكن بالأصل مشتانا

فالعلم أفضل مطلوب وطالبه ... من أكمل الناس ميزانًا ورجحاناً

والعلم نور فكن بالعلم معتصماً ... إن رمت فوزًا لدى الرحمن مولانا

هو النجاة وفيه الخير أجمعه ... والجاهلون أخف الناس ميزاناً

والعلم يرفع بيتًا كان منخفضاً ... والجهل يخفضه لو كان ما كانا

وأرفع الناس أهل العلم منْزلة ... وأوضع الناس من قد كان حيرانا

لا يهتدي لطريق الحق من عمه ... بل كان الجهل ممن نال خسرانا

وطالب العلم إن يظفر ببغيته ... ينال بالعلم غفرانًا ورضواناً

فاطلبه مجتهدًا ما دمت محتسباً ... لا تبتغي بدلاً إن كنت يقظانا

فطالب العلم إن أخفى سريرته ... ينال من ربنا عفوًا ورضوانا

فالعلم يرفعه في الخلد منْزلة ... والجهل يصليه يوم الحشر نيرانا

وقال آخر في فضل العلماء وفضل مجالستهم والاقتداء بِهم:

علم الحديث أجل السؤل والوطر ... فاقطع به العيش تعرف لذة العمر

ولا تقل عاقني شغل فليس يرى ... في الترك للعلم من عذر لمعتذر

وأي شغل كمثل العلم تطلبه ... ونقل ما قد رووا عن سيد البشر

ألهى عن العلم أقوامًا تطلبهم ... لذات دنيا غدوا منها على غرر

وخلفوا ماله حظ ومكرمة ... إلى الَّتِي هي دأب الهون والخطر

وأي فخر بدنياه لمن هدمت ... معايب الجهل منه كل مفتخر

يفنى الرجال ويبقى علمهم لهم ... ذكر يجدد في الآصال والبكر

ويذهب الموت بالدنيا وصاحبها ... وليس يبقى له في الناس من أثر

ليس الكبير عظيم القدر غير فتى ... ما زال بالعلم مشغولاً مدى العمر

قد زاحمت ركبتاه كل ذي شرف ... في العلم والحلم لا في الفخر والبطر

فجالس العلماء المقتدى بِهِم ... تستجلب النفع أو تأمن من الخطر

هم سادة الناس حقًّا والجلوس لهم ... زيادة هكذا قد جاء في الخبر

وقال الشيخ حافظ بن أحمد بن علي الحكمي في ميميته في بيان فضل العلم وشرف أهله:

العلم أعلى وأحلى ما له استمتعت ... أذن وأعرب عنه ناطق بفم

العلم غايته القصوى ورتبته العلياء ... فاسعوا إليه يا ذوي الهمم

---

(١) هو العالم السلفي سليمان بن سحمان بن حمدان بن مسفر بن محمد بن مالك بن عامر صاحب المصنفات العديدة والمؤلفات الكثيرة والرسائل المفيدة ولد عام (١٢٦٦هـ) في إحدى القرى التابعة لمنطقة أبْها توفي -رحمه الله- (١٣٤٩هـ) انظر كتاب مشاهير علماء نجد (ص٢٠٠).

العلم أشرف مطلوب وطالبه ... الله أكرم من يمشي على قدم

العلم نور مبين يستضيء به ... أهل السعادة والجهّال في الظلم

العلم أعلى حياة للعباد كما ... أهل الجهالة أموات بجهلهم

لا سمع لا عقل بل لا يبصرون وفي ... السعير معترف كل بذنبهم

فالجهل أصل ضلال الخلق قاطبة ... وأصل شقوتِهم طرًّا وظلمهم

والعلم أصل هداهم مع سعادتِهم ... فلا يضل ولا يشقى ذوو الحكم

والخوف بالجهل والحزن الطويل به ... وعن أولي العلم منفيان فاعتصم

العلم والله ميراث النبوة لا ... ميراث يشبهه طوبى لمقتسم

لأنه إرث حق دائم أبداً ... وما سواه إلى الإفناء والعدم

ومنه إرث سليمان النبوة ... والفضل المبين فما أولاه بالنعم

كذا دعا زكريا ربه بولي ... الآل خوف الموالي من ورائهم

العلم ميزان شرع الله حيث به ... قوامه وبدون العلم لَم يقم

وكلما ذكر السلطان في حجج ... فالعلم لا سلطة الأيدي لمحتكم

فسلطة اليد بالأبدان قاصرة ... تكون بالعدل أو بالظلم والغشم

وسلطة العلم تنقاد القلوب لها ... إلى الهدى وإلى مرضاة ربِّهم

ويذهب الدين والدنيا إذا ذهب ... العلم الذي فيه منجاة لمعتصم

العلم يا صاح يستغفر لصاحبه ... أهل السموات والأرضين من لمم

كذاك تستغفر الحيتان في لجج ... من البحار له في الضوء والظلم

وخارج فِي طلاب العلم محتسباً ... مجاهد فِي سبيل الله أي كمي

وإن أجنحة الأملاك تبسطها ... لطالبيه رضى منهم بصنعهم

والسالكون طريق العلم يسلكهم ... إلى الجنان طريقًا بارئ النسم

وقال آخر:

سلام يفوق المسك عرف شذائه ... ويفضح بون الصبح نور ضيائه

ويسري إلى من أَمَّه نفح طيبه ... فيعقبه في صبحه ومسائه

على حافظ الود المقيم على الإخا ... ومن قابل الحسنى بحسن فنائه

فيا راكبًا أبلغه مني رسالة ... بِها فهمه يذك بنار ذكائه

وصية حق بالإشارة أو مأت ... إلى نصح مماليها وعظم اعتنائه

ومن بعد إقراء السلام فقل له ... على العلم فاحرص واجتهد في اقتنائه

وأنفق جميع العمر في غرس كرمه ... لعلك تحظى باجتناء جنائه

فما هو إلا العز إن رمت مفخرا ... وما هو إلا الكنْز عند اجتنائه

وما أحسن العلم الذي يورث التقي ... به يرتقي في المجد أعلى سمائه

ومن لَم يزده العلم تقوى لربه ... فلم يؤته إلا لأجل شقائه

وما العلم عند العالمين بحده ... سوى خشية الباري وحسن اتقائه

ونكتفي بِهذا القدر من الدلائل الواضحات على فضل العلم وطلابه العاملين به. ونسأل الله أن يحشرنا في زمرتِهم في دار كرامته بمنه وكرمه إنه أعظم مجيب. هذا وسأختم هذا الباب بأمر مهم ألا وهو:

الفرق بين العلم النافع والعلم الذي لا ينفع

وتفصيل القول في هذا الأمر هو أن العلم جاء ذكره في الكتاب والسنة تارة في مقام المدح، وتارة أخرى في مقام الذم, فأما الأول فقد دل عليه قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: من الآية ٩].

ونحوها من الآيات الَّتِي تقدم إيرادها في صدر المحاضرة، وأما الثاني فعلى قسمين:

قسم شر محض هو وأهله كالسحر فإنه شر محض لقول الله تعالى:

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى

الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: من الآية ١٠٢]. ومثل السحر ما افتخر به الكفار, ومن العلم الذي زعموا أنه أقوم من العلم الذي جاء به الرسل والأنبياء إلى أممهم يدعونَهم إلى الرضا بالله ربًّا وبالإسلام دينًا، وأن جميع الأنبياء والرسل أصحاب حق وصدق جاءوا بذلك من عند الله، وأن الآخرة وما سيكون فيها من نعيم مقيم، وعذاب أليم حق، بينما علم الكفار الذين اغتروا به يفيد أن لا بعث ولا نشور، وأن الخير بحذافيره فيما كان عليه آباؤهم الذين هم بِهم مقتدون، وقد قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [غافر:٨٣].

هذا فيما يتعلق بالشر المحض، وقسم هو خير في ذاته ونافع في نفسه ولكنه شر على أهله لأنَّهم لَم يعملوا به بل اشتروا به ثمنًا قليلاً فأصبح حجة عليهم لا شفيعًا لهم، وقد أوضح الله هذا القسم في مواضع من كتابه منها في سورة الأعراف حيث قال -تبارك وتعالى-: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ

بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ [الأعراف: من الآية١٧٥-١٧٦].

قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي -رحمه الله- في تفسيره لهذه الآية: يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا﴾. أي: علمناه علم كتاب الله، فصار العالم الكبير والحبر النحرير. ﴿فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾. أي: انسلخ من الاتصاف الحقيقي بالعلم بآيات الله، فإن العلم بذلك يصير صاحبه متصفًا بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ويرقى إلى أعلى الدرجات وأرفع المقامات، فترك هذا كتاب الله وراء ظهره ونبذ الأخلاق الَّتِي يأمر بِها الكتاب، وخلعها كما يخلع اللباس.

فلما انسلخ منها أتبعه الشيطان، أي: تسلط عليه حين خرج من الحصن الحصين، وصار إلى أسفل سافلين، فأزه إلى المعاصي أزًّا. ﴿فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾. بعد أن كان من الراشدين المرشدين، وهذا لأن الله تعالى خذله ووكله إلى نفسه، فلهذا قال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾. بأن نوفقه للعمل بِها، فيرتفع في الدنيا والآخرة، فيتحصن من أعدائه.

﴿وَلَٰكِنَّهُ﴾. فعل ما يقتضي الخذلان، فأخلد إلى الأرض، أي: إلى الشهوات السفلية، والمقاصد الدنيوية، ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ وترك طاعة مولاه، ﴿فَمَثَلُهُ﴾ في شدة حرصه على الدنيا وانقطاع قلبه إليها، ﴿كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ﴾ أي: لا يزال لاهثًا في كل حال، وهذا لا يزال حريصًا حرصًا قاطعًا قلبه ، لا يسد فاقته شيءٌ من الدنيا(١).

---

(١) انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي. سورة الأعراف الآية (١٧٥).

وقال العلامة ابن القيم -رحمه الله- في تفسيره لهذه الآية: "فشبه سبحانه من أتاه كتابه، وعلمه العلم الذي منعه غيره، فترك العمل به واتبع هواه، وآثر سخط الله على رضاه، ودنياه على آخرته، والمخلوق على الخالق, بالكلب الذي هو من أخس الحيوانات، وأوضعها قدرًا، وأخسها نفسًا وهمته لا تتعدى بطنه. وأشدها شرهًا وحرصًا. ومن حرصه: أنه لا يمشي إلا وخطمه في الأرض يتشمم، ويستروح حرصًا وشرهًا. ولا يزال يشم دبره دون سائر أجزاء جسمه، وإذا رميت إليه بحجر رجع إليه ليعضه من فرط نَهمته، وهو من أمهن الحيوانات وأحملها

للهوان، وأرضاها بالدنايا، والجيف القذرة المروحة أحب إليه من اللحم، والعذرة أحب إليه من الحلوى, وإذا ظفر بميتة تكفي مائة كلب لَم يدع كلبًا يتناول معه منها شيئًا إلا هَرّ عليه وقهره، لحرصه وبخله وشرهه.

ومن عجيب أمره وحرصه: أنه إذا رأى ذا هيئة رثة وثياب دنية، وحال رزية نبحه، وحمل عليه، كأنه يتصور مشاركته له، ومنازعته في قوته. وإذا رأى ذا هيئة حسنة وثياب جميلة ورئاسة: وضع له خطمه في الأرض وخضع له ولَم يرفع إليه رأسه. وفي تشبيه من آثر الدنيا وعاجلها على الله والدار الآخرة – مع وفور علمه – بالكلب في حال لهثه: سر بديع، وهو أن هذا الذي حاله ما ذكره الله من انسلاخه من آياته واتباعه هواه: إنَّما كان لشدة لهفه على الدنيا، لانقطاع قلبه عن الله والدار الآخرة، فهو شديد اللهف عليها، ولهفه نظير لهف الكلب الدائم في حال إزعاجه وتركه، واللهف واللهث شقيقان وأخوان في اللفظ والمعنى.

قال ابن جرير: الكلب منقطع الفؤاد، لا فؤاد له: إن تحمل عليه يلهث، أو تتركه يلهث، فهو مثل الذي يترك الهدى لا فؤاد له

إنَّما فؤاده منقطع.

قلت -أي ابن القيم-: مراده بانقطاع فؤاده أنه ليس له فؤاد يحمله على الصبر وترك اللهث وهكذا هذا الذي انسلخ من آيات الله، لَم يبق معه فؤاد يحمله على الصبر عن الدنيا، وترك اللهف عليها، فهذا يلهث على الدنيا من قلة صبره عنها، وهذا يلهث من قلة صبره عن الماء, فالكلب من أقل الحيوانات صبرًا عن الماء، وإذا عطش أكل الثرى من العطش، وإن كان فيه صبر على الجوع، وعلى كل حال فهو أشد الحيوانات لهثًا: يلهث قائمًا وقاعدًا، وماشيًا، وواقفًا. وذلك لشدة حرصه، فحرارة الحرص في كبده توجب له دوام اللهث.

فهكذا مشبهه: شدة الحرص وحرارة الشهوة في قلبه توجب له دوام اللهث فإن حملت عليه بالموعظة والنصيحة فهو يلهث، وإن تركته ولَم تعظه فهو يلهث(١).

ومنها في سورة الجمعة حيث قال عز وجل عن اليهود: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۚ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: من الآية٥].

(١) انظر بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام بن قيم الجوزية. سورة الأعراف الآية (١٧٥).

قال ابن كثير -رحمه الله-: " يقول تعالى: وأما اليهود الذين أعطوا التوراة وحملوها للعمل بِها ثُمَّ لَم يعملوا بِها، مثلهم في ذلك كمثل الحمار يحمل أسفارًا, أي: إذا حمل كتبًا لا يدري ما فيها يحملها حملاً حسيًّا لا يدري ما عليه, وكذلك اليهود في حملهم التوراة الَّتِي أوتوها وحفظوها لفظًا ولَم يتفهموها ولا عملوا بِها بمقتضاها, بل أولوها وحرفوها وبدلوها فهم أسوأ من الحمير؛ لأن الحمار لا فهم له وهؤلاء لهم فهوم لَم يستعملوها. قلت: ويلحق بِهم في هذا المثال السيئ كل من آتاه الله علمًا مِمَّا جاء به نبينا مُحمَّد صلى الله عليه وسلم ثُمَّ يقابله بالنبذ له والإعراض عنه أو عمد إلى تأويل نصوصه بالتأويلات الباطلة، ولَيّ أعناقها لتستجيب لهوى نفسه الظالمة، ومراد قلبه المريض، ورحم الله سلفنا الصالحين الذين قالوا: " من فسد من علماء هذه الأمة ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبادها ففيه شبه من النصارى ". ولقد استعاذ النَّبِي صلى الله عليه وسلم من علم لا ينفع صاحبه، فقد روى مسلم في

صحيحه عن زيد بن أرقم أن النَّبِي صلى الله عليه وسلم كان يقول: (اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع, ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع, ومن دعوة لا يستجاب له)(١).

وفي رواية: (ومن دعاء لا يسمع)(٢).

وفي بعضها: (أعوذ بك من هؤلاء الأربع)(٣).

والخلاصة: أن العلم النافع هو ما استمد من كتاب ربنا وسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وسبّب لصاحبه خشية الله في السر والعلن وأثمر في قلبه وجوارحه تقواه، وحال بينه وبين المعاصي كبائرها وصغائرها باطنها وظاهرها, فتراه دائمًا على استحياء من ربه لئلا يفقده حيث أمره أو يراه حيث حرم عليه ونَهاه.

قال الحافظ بن رجب -رحمه الله-: " العلم النافع يدل على أمرين: أحدهما: على معرفة الله وما يستحقه من الأسماء الحسنى والصفات العلى والأفعال الباهرة، وذلك يستلزم إجلاله وإعظامه، وخشيته، ومهابته ومحبته ورجاءه والتوكل عليه والرضا بقضائه، والصبر على بلائه.

(١) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء (ج٤ رقم ٢٧٢٢ ص١٠٨٨).
(٢) أخرجها أحمد في المسند (ج٢ ص١٦٧), والنسائي (ج٨ ص٢٥٤)، والحاكم (ج١ ص٥٣٤) من حديث عبد الله بن عمرو وإسنادها صحيح.
(٣) عند الترمذي في كتاب الدعوات (باب ٦٩ ج٥ رقم ٣٤٨٢ ص٥١٩) وإسناده جيد.

والأمر الثاني: المعرفة بِما يحبه ويرضاه، وما يكرهه ويسخطه من الاعتقادات والأعمال الظاهرة والباطنة والأقوال, فيوجب ذلك لمن علمه المسارعة لما فيه محبة الله ورضاه والتباعد عما يكرهه ويسخطه فإذا أثمر العلم لصاحبه هذا فهو علم نافع فمتى كان العلم نافعًا ووقر في القلب فقد خشع القلب لله وانكسر له وذل له هيبة وإجلالاً، وخشية ومحبة وتعظيمًا, ومتى خشع القلب لله وانكسر له قنعت النفس بيسير الحلال من الدنيا وشبعت منه فأوجب لها ذلك القناعة والزهد في الدنيا وكل ما هو فانٍ لا يبقى من المال والجاه وفضول العيش الذي ينقص به حظ صاحبه عند الله من نعيم الآخرة، وإن كان كريمًا على الله. وأوجب ذلك أن تكون بين العبد وبين ربه عز وجل معرفة خاصة فإن سأله أعطاه وإن دعاه أجابه كما جاء في الحديث الإلهي: (ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى

أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به) إلى قوله: (فلئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه) (١). وفي وصيته صلى الله عليه وسلم لابن عباس: (احفظ الله يحفظك, احفظ الله تجده أمامك، تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة)(٢) الحديث فالشأن أن العبد يكون بينه وبين ربه معرفة خاصة بقلبه بحيث يجده قريبًا منه يستأنس به في خلوته ويجد حلاوة ذكره ودعاءه ومناجاته ولا يجد ذلك إلا من أطاعه في سره وعلانيته، ومتى وجد العبد هذا فقد عرف ربه، وصار بينه وبينه معرفة خاصة فإذا سأله أعطاه، وإذا دعاه أجابه كما قيل لفضيل بن عياض: أما بينك وبين ربك ما إذا دعوته أجابك فغشي عليه.

والعبد لا يزال يقع في الشدائد والكروب في الدنيا والبرزخ والآخرة، فإذا كان بينه وبين ربه معرفة خاصة كفاه الله ذلك كله، وهذا هو المشار إليه في وصية ابن عباس بقوله صلى الله عليه وسلم (تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة). إلى أن قال -رحمه الله- ونفعنا بعلمه: " فالعلم النافع ما عرف بين

العبد وربه ودل عليه حتى عرف ربه ووحده وأنس به واستحيا من قربه وعبده كأنه يراه ".

وقال الحسن البصري: "العلم علمان: فعلم على اللسان فذاك حجة الله على ابن آدم, وعلم في القلب فذاك العلم النافع". وذكر ابن عبد البر في الجامع عن سفيان بن عيينة قال: كان يقال: العلماء ثلاثة: عالم بالله عالم بأمره، وعالم بالله ليس بعالم بأمره، وعالم بأمر الله ليس بعالم بالله.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب التواضع (ج١ ص٨٩).
(٢) أخرجه أحمد (ج١ ص٣٠٧) والبيهقي في الأسماء والصفات (ص٧٥، ٧٦) وإسناده حسن وقد تكلم على إسناده العلامة أحمد شاكر في تعليقه على المسند (ج٤ ص٢٨٦) بِما لا مزيد عليه.

قلت: وفي المقطوع به المعروف من النصوص الشرعية أن من فاته العلم النافع فإنه سيسقط في الخصال الأربع الَّتِي استعاذ منها النَّبِي صلى الله عليه وسلم كما في حديث زيد بن أرقم في صحيح مسلم وغيره، وكما في حديث جابر عند النسائي وابن ماجه، وحينئذٍ يصبح علمه حجة عليه فلم ينتفع به بحيث لَم يؤثر في قلبه ولَم تنقد له جوارحه، فلا هو لأمر الله

يمتثل، ولا لنهيه يجتنب، ولا لرضاه يرضى ولا لغضبه يغضب، بل آثار هذا العلم النافع في نفسه الذي لَم ينتفع به صاحبه هي قصد الشهرة والرياء والفخر واحتياز المجالس وصرف وجوه الناس إليه وطلب الجاه والسلطان، والمناصب في هذه الحياة الدنيا. كما أن من خصائص أهله الإصرار على الباطل، وغمط الناس، ورد الحق وعدم الانقياد له، وغير ذلك من الرزايا كثير ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وإلى الباب الثاني الذي هو صلب المحاضرة والمراد منها.

* * *

الباب الثاني

الشيخ حافظ الحكمي: حياته وجهوده العلمية والعملية

نسبه: هو الشيخ الفاضل والعلامة الجليل المحدث الحافظ فريد عصره وعلامة زمانه في كافة علوم الشريعة وكل وسائلها أصولاً وفروعًا حافظ ابن أحمد علي الحكمي نسبة إلى قبيلة

الحكامية الشهيرة في المخلاف السليماني، يتصل نسبه بسعد العشيرة وهو سعد بن مالك بن أدد بن كهلان جد من العرب القحطانية، بنوه عدة بطون منهم الحكم الذي تنتمي إليه قبيلة الحكامية، والحكمي نسبة إلى الحكم بن سعد العشيرة بن مذحج أشهر قبيلة عرفت من شعب كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

مولده ونشأته: ولد شيخنا " حافظ " لأربع وعشرين ليلة خلت من شهر رمضان المبارك سنة ١٣٤٢هـ (١) بقرية السلام إحدى قرى الحكميين التابعة لمدينة المضايا الواقعة في جنوب مدينة جازان وانتقلت أسرته إلى قرية الجاضع التابعة لمدينة صامطة الَّتِي تبعد عنها مسافة ستة كيلو مترات تقريبًا من الناحية الشرقية وكان الشيخ أحد أفراد تلك الأسرة الطيبة المباركة، نشأ مبارك العمر حافظ بن أحمد كغيره من أبناء المنطقة غير أنه بدأ من سن الصغر المبكرة يتطلع إلى حياة العز في الدارين، حياة القيادة في الخير والبر والصلاح فحقق الله ما تطلعت إليه نفسه وعزم عليه وتمناه، فلقد بدأ في طلبه للعلم بخير العلوم وأساسها القرآن الكريم فاهتم به اهتمامًا

بالغًا تلاوة وحفظًا فأجاد تلاوته وحفظ بعض سوره بالإضافة إلى حفظ بعض المتون في مختلف الفنون.

---

(١) انظر مقدمة معارج القبول الطبعة الثالثة بقلم ابنه الدكتور أحمد بن حافظ كما هو موجود في مجلة اليمامة عدد (٢٤١) سنة (١٣٩٣هـ).

وكان قد أوتي سرعة في الحفظ، وتمكنًا في الفهم، وجودة في الخط بالقلم وذكاء خارقًا امتاز به عن أقرانه آنذاك، تلك المحاولة الشريفة والبداية اللطيفة كانت كالتمهيد والتوطئة للدخول في باب طلب العلم الشريف بصورة جادة ومنتظمة بعد أن كان يشتغل برعي غنيمات لوالديه الكريمين اللذين كانا خير قدوة له مِمَّا جعله يتميز عن جميع أفراد مجتمعه. وسبحان الله الذي يعلم حيث يجعل فضله ويودع خيره وبره وإحسانه, استمر الشيخ حافظ -أسكنه الله فسيح جناته- على تلك الحال العجيبة من رعي الغنم وحمل المصحف وبعض المتون وبر الوالدين حتى قدم من بلاد نجد إلى منطقة الجنوب الإمام المجدد العالم العامل الداعية إلى الله على علم وبصيرة الفذ التقي السخي نبيل الخلق عالي الهمة حسن النية سلفي العقيدة -أعني: شيخنا عبد الله بن محمد القرعاوي-

الذي اختار نشر العلم بعد طلبه غاية له ومنهجًا وجعل الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة له سبيلاً. مراده منها رضا الله وجنة عرضها كعرض السماء والأرض، قدم هذا الداعية المجاهد - والناس في منطقتنا أحوج ما يكونون إليه - وكان اتجاهه إلى هذه المنطقة بفضل من الله ثُمَّ بمشورة ذلك العالم الجليل والداعية الناصح الصريح الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ علينا وعليهم رحمة الله ولقد حدثني من أثق به أن أول موعظة قام بِها الشيخ / عبد الله بن محمد القرعاوي في المسجد الجامع في مدينة جازان قد استهلها بقول الله الحق المبين: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥٠) وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذريات:٥٠ - ٥١].

وشرحها شرحًا مفصلاً بيَّن فيه – بأسلوب الداعية الحكيم المراد من هاتين الآيتين الكريمتين ونظائرهما من الآيات الَّتِي جاءت تنادي إلى صحة المعتقد وإخلاص العبادة لله المستحق لكل عبادة مالية وبدنية، قولية وفعلية وقلبية شأنه شأن كل داعية إلى الله يعلم أنه ورث علم الأنبياء والرسل فيتعين عليه

أن يسلك مسلكهم وينهج نَهجهم في الدعوة إلى الله مبتدًا بتوضيح العقيدة السلفية عقيدة توحيد رب العالمين, والبراءة من جميع ضروب الشرك صغيره وكبيره هذا الأصل الذي اتفقت عليه دعوة الرسل أجمعين، ومن تأسى بِهم من أهل العلم والفقه في الدين.

وفي عام (١٣٥٩هـ) شاء الله أن يلتقي هذا الداعية المخلص بعلمنا المترجم فتعرف عليه، وتحبب إليه ورغبه في صحبته لطلب العلم الشرعي الشريف لما رأى فيه من الذكاء وصراحة القول وحسن السمت والأدب وآيات النجابة والرجولة المقتضية للصبر والثبات على تحصيل العلم الذي يحتاج إلى تلك الأخلاق الفاضلة الزكية، ففرح الشيخ حافظ بذلك العرض المحبوب إلى أصحاب الفطرة السليمة والأخلاق القويمة إلا أنه شرط موافقة الوالدين على ذلك. فاتجه الشيخ عبد الله القرعاوي بالعرض على الوالد بلطف وحكمة وترغيب ووعد كريم، ولكن لشدة حاجة الوالدين إلى ابنهما لَم يسمحا له بالذهاب عنهما إلى صامطة كما طلب شيخه ذلك ورغب فيه غير أنه كان يتعاهده بالدروس والتوجيه والترغيب المستمر

في علوم الشريعة والتوسع فيها ليصبح ذا شأن عظيم ينتفع بالعلم وينفع به سواه.

* * *

جهوده العلمية والعملية

ولما حل عام (١٣٦٠هـ) توفيت والدة الشيخ حافظ، وفي نفس العام توفي والده رحم الله الجميع برحمته الَّتِي كتبها لأوليائه، ونسأل الله أن يجعلنا جميعًا من أوليائه، وفي هذا العام تفرغ الشيخ حافظ لمواصلة السير الحثيث في طلب العلم الذي تذوق حلاوته وحث عليه فيما بعد في ميميته بقوله:

يا طالب العلم لا تبغي به بدلاً ... فقد ظفرت ورب اللوح والقلم

وقدس العلم واعرف قدر حرمته ... في القول والفعل والآداب فالتزم

واجهد بعزم قوي لا انثناء له ... لو يعلم المرء قدر العلم لَم ينم

حقًّا لقد كان الشيخ حافظ ذا نَهم في تحصيل العلم فخص بجل أوقاته علوم القرآن والحديث ووسائلها الَّتِي قال فيها:

ما العلم إلا كتاب الله أو أثر ... يجلو بنور هداه كل منبهم

ما ثُمَّ علم سوى الوحي المبين وما ... منه استمد ألا طوبى لمغتنم

كانت ملازمة هذا الطالب النبيه الذي صار بحق أعجوبة زمانه بتفوقه على الكبار من أقرانه لشيخه عبد الله الداعية المحتسب والمعلم البصير لا نظير له في الاستمرارية المتعاقبة في جلساتِها كتعاقب الليل والنهار، وتتابع المطر السح المدرار, مِمَّا جعل تلك الشجرة الطيبة تفوق جميع الأشجار في إيتاء ثمارها المرغوبة الشهية في أقصر وقت وأغلاه في ميدان السباق قي كسب العلم الشريف ونشره بين محتاجيه ومحبيه. فما هي إلا سنوات قليلة حتى ظهر واشتهر هذا العَلَمُ بعلمه، ولمع في سماء المجد الأصيل ضياؤه، وأصبح وأمسى حديثًا حسنًا في المجالس والمنتديات والناس من حوله بين داع له بالزيادة في العلم والفقه في الدين، والتوفيق لكل ما يرضى الله رب العالمين، وبين ذي غبطة متناهية يتمنى ظاهرًا وباطنًا أن ينال من العلم والمكارم مثله كي ينفع الناس ويحشر في زمرة العلماء الربانيين، وبين مادح له ومثن عليه بِما هو فيه

غير مبالغ في الثناء عليه -وكان الشيخ كما عرفته- لا يرغب أن يسمع مدح من يمدحه أو ثناء من يثني عليه، وما ذلك إلا لعظم مخافته من ربه ومدى خشيته له واستحيائه منه، وأذكر أن بعض الإخوان المحبين للشيخ والمعجبين بِما حازه من المستوى العلمي الرفيع أرسل إليه قصيدة عبر فيها عما يختلج في النفس حياله حيث قال:

أهدي السلام دوامًا لا انتهاء له ... مدى الدهور بلا حد يدانيه

ما دامت الأرض أرضا والسماء سماء ... والخلق خلقًا وباري الخلق ينميه

يكون أضعاف ما قد خط في ورق ... من العلوم ومن بالجد يُتليه

قال: الأحباء ما يهدي السلام كذا ... بين لنا أي شخص أنت تعنيه

فقلت حاء وفاء ثُمَّ يتبعها ... ظاء لمن يريد التبيان يحكيه

هذا الذي ذكره نعلوا به شرفاً ... من شا يخوض بحور العلم يأتيه

طلابة العلم قد فاقت مراقبتهم ... لكنه عنهم علت مراقيه

هم النجوم وهو كالبدر مكتمل ... في عشر وأربع فما نور يضاهيه

يا طالب العلم وجه نحو صامطة ... تجد بِها الفخر فاسكن حيث تلفيه

من آل قرعاوي عبد الله منتخب ... وباجتهاد لدين الله يحييه

هبت تلاميذه في كل ناحية ... فاللهم ارض عنهم ثُمَّ رضيه

أحيوا البلاد بذكر الله واجتهدوا ... هم الهداة لمن قد شاء يهديه

غرسوا العلوم وقد طابت مغارسهم ... وأينع الثمر الحالي لجانبه

إلى أن قال:

العلم نور ومصباح لصاحبه ... حصن منيع لمن بالذهن يوعيه

يكون بالرتبة العلياء مجلسه ... بِما حكى عن رسول الله يرويه

آيات حق من الرحمن منْزلة ... دلت عليه بِما يخفي ويبديه

ثم الصلاة على المختار من مضر ... ما لاح نجم وما جنت دياجيه

والآل والصحب والأتباع قاطبة ... ومن على السنة الغراء يواليه

* * *

فأجاب الشيخ حافظ عنها بالأبيات التالية بعد أن كتب "بسم الله الرحمن الرحيم".

عادت عليكم تحيات مضاعفة ... أما المديح فما لي حاجة فيه

ولست أرضاه في سر ولا علن ... ولست أصغى إلى من قام ينشيه

إذ يورث العبد إعجابًا يسر به ... وما جناه من الزلات ينسيه

مالي وللمدح والأملاك قد كتبوا ... سعي جميعًا ورب العرش محصيه

ولست أدري بِما هم فيه قد سطروا ... وما بقي أي شيء صانع فيه

وما اغترارِي بأهل الأرض لو مدحوا ... وفي السموات ذكري ولست أدريه

إياكموا أن تعيدوا مثلها أبدا ... فاستقبل النصح مني حيث أمليه

لكن علي خير من هذا أدلكموا ... إن تقبلوه فما شيء يساويه

دعاكموا لي بظهر الغيب لاسيما ... وقت الإجابة في الأسحار تلفيه

والنصح للمسلمين أبذله مبتغياً ... وجه الإله به للدين تحييه

والعرف فأمر به والمنكر انه عنه وكن ... لله حبك والبغض اجعلن فيه

بدون ذا لَم تنل قط ولايته ... فإن ربك مولى من يواليه

والحمد لله مع أزكى الصلاة على ... خير الأنام وصحب ثُمَّ تاليه

* * *

أبرز صفاته الخَلْقِيّة وحالته الاجتماعية

كان رحمه الله ربعة أسمر اللون، مستدير الوجه مفلج الأسنان، خفيف اللحية والعارضين، أقرن الحاجبين يعجبه لباس الخشن من الثياب في غالب الأوقات, بِهذا وصفه تلميذه الفاضل الشيخ علي بن قاسم بن سليمان الفيفي في كتابه "السمط الحاوي، لأسلوب الداعية الشيخ / عبد الله القرعاوي" وذلك هو ما أعرفه من صفات شيخنا الشخصية لما لي ولزملائي وأقراني في السن من التتلمذ على يديه وكثرة المخالطة له في كثير من الأوقات والمناسبات، وأما حالته الاجتماعية الأسرية فقد كان له ثلاث زوجات أولاهن ابنة شيخه / عبد الله القرعاوي حيث تزوج بِها سنة ١٣٦٧هـ وأنجبت له أحمد وعبد الله وكلاهما على قيد الحياة بارك الله لهما في محياهما ومماتِهما, فأما أحمد فهو يعمل وكيلاً لكلية اللغة العربية التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية لشئون الدراسات العليا والبحث العلمي منذ أن حصل على شهادة الدكتوراه في فن الأدب.

وأما عبد الله فهو يعمل رئيسًا لمكتب سماحة الشيخ / عبد العزيز بن عبد الله بن باز في الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، وقد حصل على شهادة الدكتوراه في فن أصول الفقه "تحقيق قواطع الأدلة في أصول الفقه" لأبي المظفر السمعاني "وأما الزوجتان الأخيرتان فهما من المنطقة(١) وقد أنجبت إحداهما محمدًا الذي يعمل حاليًا في الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بعد أن حصل على الشهادة الجامعية في العلوم الشرعية من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية, كما أنجبت بنتًا وكلاهما على قيد الحياة، أحياهما الله حياة الإيْمان وأنجبت الثانية عبد الرحمن الذي يعمل مدرسًا في المعهد بالملز في الرياض التابع لجامعة الإمام / محمد بن سعود الإسلامية بعد أن حصل على الشهادة الجامعية في علوم اللغة العربية واثنتين من البنات والجميع على قيد الحياة وفقهم الله لكل خير وفضيلة وبر وإحسان، وعليه فيكون عدد ما خلف الشيخ من الذرية أربعة من الرجال وثلاثًا من النساء فقط، وما ذلك إلا لأنه توفي في سن الكهولة المبكرة، والجدير بالذكر أن

جميع زوجاته قد حدبن على الأيتام بعد وفاة أبيهم طمعًا في الأجر المترتب على العناية برعاية اليتامى وكفالتهم.

* * *

أسباب نبوغه وتفوقه في العلم على جميع أقرانه بل وعلى سائر علماء زمانه

أذكر بأنه وُجَّه إليَّ سؤال قبل بضع سنوات في هذا الموضوع من بعض الإخوة المحبين للشيخ حافظ والمتطلعين إلى فهم أسباب نبوغه في العلم وعمق غزارته لديه رغم صغر سنه فأجبته قائلاً: إن أسباب نبوغ شيخنا في العلم ووصوله إلى ما وصل إليه تكاد تنحصر في الأمور التالية:

الأمر الأول: إخلاص النية في الطلب مقرونة بصالح العمل الذي من جملته نشر العلم في كل مناسبة من المناسبات العامة والخاصة، وهذا الصنيع له أثر عظيم في زيادة العلم وبركته ونمائه المطرد السريع.

الأمر الثاني: عناية ربانية رحيمة وكرامة من كرامات الله لأوليائه، وشيخنا ولي من أولياء الله الذين آمنوا وكانوا يتقون، بشهادة ما كان عليه طيلة حياته من عمل الخير والبر والصلاح والتقوى والزهد والورع والتضحية الَّتِي لا نظير لها في عصره في سبيل تحصيل العلم الشرعي الشريف في مختلف فنونه الطيبة النافعة، وكافة علومه المباركة الواسعة.

الأمر الثالث: توجيهات صائبة تلقاها من عالم فذ مجرب ماهر بطرق تحصيل العلم وكيفية قطف ثمراته اليانعة، ألا وهو الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي الذي تتلمذ علمنا المترجم على يديه مدة وإن كانت وجيزة المقدار بيد أنَّها مليئة بالخير والبركة والإحسان من صاحب الخير العظيم والفضل والإحسان الله الكريم المنان.

الأمر الرابع: ما أمده به شيخه المذكور من الدعم المعنوي والمادي حيث كفاه مئونة ما كان من ضروريات الحياة حتى استقام أمره فقد كان مسكن الشيخ حافظ مأوى لطلاب العلم المغتربين من داخل البلاد وخارجها حينما كان في مدينة بيش وبعد مغادرته لها إلى صامطة, يشبه السكن الجامعي الذي

أنشأته حكومتنا المحبة للعلم في جامعاتنا ذات العلوم الشرعية وغيرها من العلوم.

---

(١) أعني: منطقة جازان.

الأمر الخامس: استثمار شيخنا جميع الأوقات في القراءة ذات التأمل والتدبر على سبيل الدوام بلا ملل ولا فتور، لا سيما علوم الشريعة على اختلاف فنونَها من توحيد وتفسير وحديث وفقه وأصول وتاريخ وأدب وسلوك وأدب معارف، مع العناية بوسائلها ذات العلاقة المتينة بِها من النحو والصرف والبلاغة وقواميس اللغة ونحوها والدليل على ذلك مؤلفاته في تلك الفنون نظمًا ونثرًا.

الأمر السادس: ما كان يتصف به شيخنا -رحمه الله- كما أسلفت من زهد وورع وإيثار للآجلة على العاجلة، وتقديْم لمراضي الله على متطلبات النفس والجسد، فلقد نصر الله في نفسه فنصره الله على كل عدو داخلي وخارجي كما وعد سبحانه -ووعده الحق-: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: من الآية٧].

الأمر السابع: قوة الذاكرة وسرعة الفهم والاستيعاب التام للمضامين، وضبط الفكر وصحة الاتجاه بالإضافة إلى حفظ كثير من الفنون المفيدة نظمًا ونثرًا والجدير بالذكر والإشادة أن في مقدمة محفوظاته كتاب الله الذي هو مصدر كل خير وهدى وعلم وفضيلة, ولشدة حرصه على حفظ المتون أنه كان يستخرج المتن من شرحه كي يسهل عليه حفظه ومراجعته، هكذا رأيته يفعل.

الأمر الثامن: تطبيق العلم بالعمل لعلمه -رحمه الله- أن الغرض من طلب العلم إنَّما هو العمل به, ألا وإن من جملة العمل بالعلم نشره تعليمًا وتوجيهًا وتأليفًا وغير ذلك من وسائل النشر الكثيرة.

الأمر التاسع: وجود مكتبة عامرة بأمهات الكتب في مختلف الفنون هي مكتبة شيخه عبد الله بن محمد القرعاوي حيث أكب عليها حتى صار إلى ما سمعت وعلمت. ثُمَّ استقل بمكتبة بعد ذلك تخصه وهي باقية إلى وقتنا هذا في مدينة صامطة في دار أخيه الشيخ/ محمد بن أحمد الحكمي -رحمه الله-.

* * *

نظرته إلى المجتمع الإسلامي ونظرة المجتمع إليه

أما نظرته إلى المجتمع الإسلامي الكبير فقد كان حريصًا على ثباته على الحق والتزامه به وتمسكه بِما جاء به نبي الإسلام -عليه الصلاة والسلام- من عقيدة مرضية وعبادة شرعية ومعاملة حسنة وسلوك متميز وأدب رفيع وخلق فاضل كريم, وكان مجاهدًا في سبيل ذلك بلسانه الصادق وقلمه السيال شأنه شأن كل داعية واعٍ عالم مخلص يحب لإخوانه المسلمين من الخير ما يحبه لنفسه، ويكره وصول الشر إليهم كما يكره وصوله إليه عملاً بقول النَّبِي الكريم صلى الله عليه وسلم (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)(١) رواه الإمام أحمد من حديث أنس رضي الله عنه ، وأما نظرة المجتمع الذي كان يعيش فيه بل وكافة من حوله بل وجميع من سمع به أيام حياته وبعد مماته فقد كان له في نفوسهم وقلوبِهم عظيم المحبة الشرعية وفائق التقدير والاحترام وغاية القبول لكل ما يقول من كلمة الحق ودعوة الخير.

(١) أخرجه البخاري في الإيْمان (ج١ ص٩)، ومسلم في الإيْمان باب الدليل على أن من خصال الإيْمان أن يحب.. (ج١ رقم ٤٥ ص٦٧).

نعم كان له مِمَّا ذكرت ما لا أستطيع وصفه فقد كان أفراد المجتمع يستمعون لتوجيهاته السديدة, ويصغون إلى نصائحه الغالية المفيدة، ويقبلون وصاياه عن قناعة ورضاه ومحبة وتصديق، وكانوا يوقرونه بِما لا مزيد عليه من توقير للعلماء، وكنا نستدل بذلك التقدير والاحترام والمحبة والطاعة الشرعية على أن الله قد وضع له القبول في الأرض، بعد أن أحبه وأحبته ملائكة الأرض والسماء. وجعل له لسان صدق يذكر به أيام حياته وبعد مماته, إذ هو بحق وصدق قدوة حسنة ومثال يحتذي في صدق التعامل مع الله خالقه وبارئه وحسن التعامل مع عباد الله على اختلاف طبقاتِهم وشتى مستوياتِهم.

* * *

تنقلات الشيخ الداخلية وأعماله في المنطقة

تم للشيخ التجول في كل من السلامة العليا من قرى بيش وأم الخشب ومدينة صبياء ومدينة ضمد, وفي أثناء إقامته في كل واحدة من هذه المدن الآهلة بمحبي العلم آنذاك كان يلقي الدروس على أساس من التنظيم المفيد, الذي يأخذ فيه كل مستوى نصيبه من العلم غير أن أكثر إقامته وأعماله في صامطة وأم الخشب, ولقد كنت أحضر وأنا صغير السن في الحلقات الَّتِي يدرس فيها الأمهات الست في مدينة أم الخشب، وكان في هاتين المدرستين السلفيتين هو المدير وهو المعلم وهو القائم المباشر بالنفقة على طلاب العلم فيها، غير أنه في صامطة كان مشرفًا على بعض المدارس المجاورة لصامطة وموجهًا عامًّا في معظم المدارس الَّتِي تم فتحها وإنشاؤها على يد الشيخ / عبد الله بن محمد القرعاوي في منطقة الجنوب تِهامة وعسير.

وفي عام ١٣٧٣هـ تم تعيين الشيخ حافظ مديرًا لمدرسة ثانوية في مدينة جازان تابعة لوزارة المعارف فاستمر في إدارتِها وتربية طلابِها وتوجيه منسوبيها بكل جد ونشاط وحكمة

وإصلاح حتى هيأ الله فتح المعهد العلمي في مدينة صامطة في عام ١٣٧٤هـ فكان فتحًا عظيمًا في منطقة الجنوب عمومًا، فتولى إدارته والقيام بالتدريس فيه وتأليف الكثير من مقرراته وإملائها على الأساتذة والطلاب بكل عناية وكفاية وبقى مديرًا ومعلمًا ومصلحًا حتى وافاه الأجل المسمى عام ١٣٧٧هـ.

مؤلفاته

مِمَّا لا شك فيه أن لشيخنا مؤلفات كثيرة قيمة, منها المنظوم ومنها المنثور ومنها المطبوع ومنها المخطوط, وكلها تدلنا على ما كان له من جهد كبير متواصل في القراءة لمراجعها نظمًا ونثرًا، وإليكم بيانًا بأسماء ما تم طبعه والانتفاع به في أيام حياته وبعد مماته:

١- سلم الوصول إلى علم الأصول في فن التوحيد نظمًا، وقد تجلى قدر هذه المنظومة وشمولها لأصول الدين ومراتبه وكافة فضائله من خلال شرحها المسمى معارج القبول.

٢- معارج القبول شرح سلم الوصول إلى علم الأصول وقد طبع مرات عديدة وهو من المراجع الكبار لأهل الدراسات العليا في

العقائد، إذ أنه كتاب جامع في موضوعه لا نظير له من مؤلفات معاصريه أو ممن أتى بعده وبعدهم.

٣- أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة المنصورة وهو مدون على طريقة السؤال والجواب وقد دون فيه من علوم عقيدة التوحيد الصافية ما لا يستغنى عن فهمه والعمل به مسلم ولا مسلمة ومن خلال قراءته وقراءة سابقيه تعلم عقيدة الشيخ السلفية الَّتِي أكرمه الله بِها, ومنَّ عليه بفهمها على الوجه الصحيح المعروف عن سلف هذه الأمة وذلك في كل باب من أبواب الاعتقاد وغيرها من أبواب العلم الشريف.

٤- الجوهرة الفريدة في تحقيق العقيدة نظمًا, وهي أيضًا في تحقيق وإيضاح عقيدة أهل السنة والجماعة سلفًا وخلفًا، والرد الواضح الصريح على أهل الزيغ والضلال من أصحاب العقائد الباطلة والنحل المنحرفة والمبادئ الهدامة الظالمة.

٥- دليل أرباب الفلاح لتحقيق فن الاصطلاح, وهو من خير ما كتب في هذا الفن العظيم الشأن من مصطلح الحديث, حيث استوعب فيه جوانب هذا العلم الذي يعتبر من أشرف العلوم بعد علوم القرآن الكريم ذلك؛ لأن سنة المصطفى صلى الله

عليه وسلم لا تتضح تمام الاتضاح إلا بتحقيق فن الاصطلاح الذي يعنى بأسانيد السنة ومتونِها فيتبين صحيحها من سقيمها, وقويها من ضعيفها والكتاب متداول بين أهل العلم وهو على طريقة السؤال والجواب.

٦- اللؤلؤ المكنون في أحوال الأسانيد والمتون, وهو نظم فريد في فن المصطلح لما اشتمل عليه من قواعد وضوابط تتعلق بالسند والمتن ومراتب التعديل والجرح وصيغ الأداء وغير ذلك من مباحث هذا الفن.

٧- متن لامية المنسوخ وهي منظومة أورد فيها أمثلة كثيرة من النصوص الناسخة والمنسوخة من الكتاب والسنة بحيث يذكر المنسوخ ويشير إلى ناسخه بدقة في التعبير ووضوح في التمثيل.

٨- سبل السوية لفقه السنن المروية نظمًا, وهذه المنظومة المباركة تعتبر بحق قاموسًا عظيمًا من قواميس السنة الكريمة حيث تعرض فيها الشيخ لبحث العبادات والمعاملات والأخلاق والآداب والسلوك والرقائق ترغيبًا وترهيبًا، ومن باب التحدث بمنة الله ونعمته وفضله فإن الله قد أعانني على شرحها كاملة

فأتت في ستة مجلدات رغم مراعاة الإيجاز ومحبة الاختصار أثناء التأليف، وقد جعل الله لها قبولاً عند طلاب العلم النابِهين صغارًا وكبارًا ومحبة في اقتنائها، وما ذلك إلا لاشتمالها على جميع مباحث الفقه الإسلامي القويم، وعرض الأحكام والخلاف والحجج عرضًا علميًّا مبينًا على أدلة الكتاب الكريم والسنة البيضاء الصحيحة، ولا أدعى لها كمالاً فالكمال المطلق لكلام الله العظيم وما صح عن رسوله الكريم ﷺ.

٩- وسيلة الحصول إلى مهمات الأصول نظمًا، فصل فيها التعريفات بأصول الأحكام التكليفية والأحكام الوضعية، وكذا الأدوات الدالة على المعاني، وأصول أدلة الأحكام الَّتِي هي الكتاب والسنة والإجماع وأسهب في ذلك بِما لا مزيد عليه كما أوضح فيها وجوه الخطاب من أمر ونَهي, ومنطوق ومفهوم, وعموم وخصوص, وإطلاق وتقييد، ومجمل ومبين، ومحكم ومتشابه, وناسخ ومنسوخ, وراجح ومرجوح، وغير ذلك من مباحث هذا الفن العظيم، وختمها بمبحث القياس ومبحث الاجتهاد والفتيا بأسلوبه المنظوم السهل الميسر -رحمه الله-.

١٠- نيل السول من تاريخ الأمم وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم نظمًا, ولقد بدأ هذه المنظومة المباركة بذكر بدء الخلق والحكمة من خلقهم، ثُمَّ بذكر دعوة إبراهيم الخليل عليه السلام ، وغيره من الأنبياء العظام والرسل الأجلاء الكرام وبيان مقاماتِهم الرفيعة، وبجانب ذلك تحدث فيها عن أحوال الجاهلية الشنيعة، وأتبعها بذكر بزوغ فجر الحياة المباركة الجديدة حياة العز والسعادة، حياة السيادة والقيادة في ظل الشريعة الكريمة الَّتِي جاء بِها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بيضاء نقية عالية مضيئة, وفصل القول في هذه المنظومة في الحوادث والأخبار الَّتِي تمت بقيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أصحابه من المهاجرين والأنصار، وما في ذلك من العظات والدروس والاعتبار، استمر في ذلك نفسًا طويلاً إلى أن ختمها بذكر المصيبة العظمى والفاجعة الكبرى مرض المصطفى الكريم والناصح الأمين رسولنا محمد عليه من ربه أفضل الصلاة وأزكى التحية والتسليم، ثُمَّ انتقاله إلى الرفيق الأعلى في جوار الرب الرءوف الرحيم، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

١١- المنظومة الميمية في الوصايا والآداب العلمية, وهي منظومة عظيمة النفع جمة الفوائد تحمل في جملتها التربية الإسلامية الأصيلة وتحث على بذل الجهد في طلب العلم الشرعي الشريف وترغب فيه، وتدعو إلى الإخلاص فيه وإلى تعليمه والدعوة إليه، وقد دلل فيها -رحمه الله- على صحة ما قال ببراهين قاطعة وأدلة صائبة واضحة.

١٢- نصيحة الإخوان عن تعاطي القات والشمة والدخان, وقد تجلى في هذه القصيدة النصح الخالص من الشيخ لقوم طالما فتنتهم تلك القاذورات المنتنات ذات السموم القاتلات من دخان وشمة وقات, الَّتِي لا يلتذ بِها إلا من محقت فطرته وتغير طبعه عن الإنسان العاقل المفكر، وبالأحرى لا يدافع عن ذمها ويشك في خبثها وفسادها إلا أشباه عباد الهوى الذين غرهم الشيطان وزين لهم ما كانوا يعملون. ومن قرأ هذه القصيدة والرد عليها من بعض المفتونين بِهذه القاذورات تبين له ما كان عليه الشيخ من حق مؤيد بالأدلة الصريحة, وما كان عليه وتفوه به الخصم المفتون من باطل أرسله استجابة لهواه وانتصارًا لمن كان على شاكلته ممن أضلهم الشيطان عن طريق

الحق وسناه, وحقًّا إن للحق أنصارًا ودعاة وحماة، وللباطل أنصارًا ومروجين ودعاة فاللهم اجعلنا حربًا على أنصاره ودعاته ومروجيه.

١٣- قصيدة وعظية في الترغيب والترهيب والحث على تقديْم الآجلة على العاجلة والاستعداد الحق للقاء الله الحق وذلك بمجاهدة النفس الأمارة بالسوء والهوى والشيطان حتى تلتزم بالطاعة الَّتِي هي مصدر العز والسعادة وتبتعد عن المعصية الَّتِي هي مصدر الذل والهوان، والردى والشقاوة.

كما تناول فيها التحذير من الاغترار بالدنيا وإيثارها على الآخرة، وبيان ما سيئول إليه المغرورون الذين استعذبوا هذه الحياة الدنيا واطمأنوا بِها، وغفلوا عما من أجله خلقوا، وبه على لسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كلفوا, وشوق النفوس المطمئنة بأوصاف الجنة دار الكمال والجمال والبقاء والدوام على ضوء وصف خالقها لها في كتابه الكريم، وعلى لسان عبده ورسوله محمد سيد الأولين والآخرين, الذي بوأه ربه الرفيق الأعلى في عليين, وإنني لأحمد الله الذي أعانني على التعليق على هذه القصيدة بشرح موجز تضمن نثر منظومها،

وإبراز ما احتوته من آيات الكتاب الكريم وسنة النَّبِي الهادي الأمين، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين، وقد تم طبعها على حساب نادي حطين في مدينة صامطة جزى الله كل من كان ويكون سببًا في نشر العلوم ومفتاحًا لأبوابِها خير الجزاء في الآخرة والأولى.

١٤- رسالة النور الفائض من شمس الوحي في علم الفرائض, وهي رسالة مختصرة بالنسبة إلى المطولات في هذا الفن، بيد أنَّها وافية بمسائله، وجامعة لما تفرق من مقرراته حيث أكثر فيها من الضوابط الَّتِي تعرف بِها كيفيات قسمة المواريث، كما أكثر فيها من ضرب الأمثلة الَّتِي توضح قواعد هذا الفن الجليل الذي تولى الله قسمة مواريثه ولَم يكله إلى أحد من خلقه فجزاه الله خير الجزاء ورفع درجته عالية مع الصالحين والشهداء.

* * *

المخطوط من مؤلفاته - رحمه اللّٰه -

هذا وللشيخ حافظ مؤلفات مخطوطة لما تطبع بعد منها:

١- أمالي في السيرة وهذه كانت تملى علينا في المعهد العلمي أيام دراستنا في عام ١٣٧٥هـ كمادة من المواد المقررة وكانت مخطوطة عندي في كراريس وعندما طلبها مني الأستاذ أحمد بن حافظ سلمتها إليه وهي محفوظة عنده.

٢- مفتاح دار السلام بتحقيق شهادتي الإسلام نثرًا.

٣- ضوابط مسائل أصول الفقه.

٤- تلخيص مفيد لمسائل في فن الاصطلاح.

٥- مختصر دليل أرباح الفلاح.

٦- جدول بالفرائض يتعلق بالورثة من الرجال والنساء وأحوال إرثهم.

٧- رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٨- شرح الورقات في أصول الفقه نثرًا.

٩- قاعدة لمعرفة أنواع الربا.

١٠- شرح البيقونية من الدروس الَّتِي كانت تملى على الصغار من طلاب العلم.

١١- أمثلة تحفة الأطفال في التجويد أيضًا.

١٢- تكميل متن الشبراوية منظومة في النحو.

١٣- ديوان خطب كنت قد جمعت الكثير منه وطلبه مني الشيخ/ محمد بن أحمد الحكمي, غير أنه لَم يرده عليَّ بل أبلغني بأنه قد فقد منه غير أن الأصل عند أبناء الشيخ الكرام وفقنا الله وإياهم للعلم النافع والعمل الصالح وسأورد شيئًا منه في محله -إن شاء الله-.

١٤- همزية الإصلاح في تشجيع الإسلام وأهله نظمًا, تزيد أبياتُها على المائتين ركز فيها على التمسك بالعروة الوثقى الَّتِي اتفقت عليها دعوة الرسل وأتباعهم, ثُمَّ بين معتقد أهل السنة والجماعة وموقفهم الحق من نصوص الكتاب والسنة في باب الأسماء والصفات، وفي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ذكر محبتهم لهم والترضي عنهم والسكوت عما شجر بينهم، ومحبتهم جميعًا لأنَّهم صفوة أولياء بعد أنبيائه ورسله، ثُمَّ أشار إلى تضحياتِهم الدعوية والجهادية وحنكتهم القيادية حيث فتحوا الدنيا من أجل أن يعبد الله وحده وتحكم شريعته بين العباد في جميع البلاد، وقد أثنى فيها على العلماء

الربانيين والفقهاء المحققين قادة الأمة إلى هدى الله، وفي طريق الحق ليصلوا إلى مقر الأمن والأمان إلى رحاب الكريم المنان، في جنان عرضها السموات والأرض قد وصفت في محكم القرآن بكل كمال وجمال ونعيم وإحسان، وقد قيل من أراد أن يطلع على وصف الجنان, فليقرأ سورة الرحمن.

كما دعا الشيخ -رحمه الله- المسلمين جميعًا وبالأخص علماءهم إلى دعوة الخلق إلى رحاب الحق وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, براءة للذمة وقيامًا بِهذا الركن العظيم ونصحًا للأمة، ثُمَّ ختمها بدعوات مباركات له ولكافة المسلمين حيث قال:

يا رب فارزقنا الثبات على الهدى ... وعلى سلوك طريقه البيضاء

واسلك بنا نَهج النجاة ونجنا ... من شر كل ضلالة عمياء

واجعل كتابك يا كريم إمامنا ... ورسولك المقدام للحنفاء

وانصر على الأعداء حزبك إنَّهم ... خبطتهمو فتن من الأعداء

راموا بنا السؤى بسوء مكائد ... فاقصمهمو يا رب بالأسواء

واردد عليهم كيدهم في بيدهم ... وأبدهموا ربي عن البيداء

أظهر على الأديان دينك جهرة ... وشعاره فارفع بدون خفاء

واجعل لوجهك خالصًا أعمالنا ... بعبادة وولاية وبراء

ثُمَّ الصلاة على الرسول وآله ... والحمد للمولى بلا إحصاء

هذا بالإضافة إلى كثير من الفوائد والضوابط والتقريرات والتلخيصات لبعض البحوث العلمية واللغوية الَّتِي وجدتُها فصورتُها للاحتفاظ بِها والاستفادة منها.

* * *

الشيخ ناظم وشاعر

حقًّا لقد منَّ الله على علمنا المترجم بمواهب جمة كما سبق الحديث عن ذلك مفصلاً، وإن من جملة ما حباه الله به موهبة قرض الشعر فاستغلها في تقييد العلوم الشرعية والقصائد الدعوية الَّتِي تعالج مشكلات المجتمعات, بل ومشكلات الأمم بأسلوبه السهل الرصين الذي يحمل في حروفه المعاني العظيمة الَّتِي تتغذى منها الأرواح والقلوب, فهنيئًا له من عمق

القلوب تلك الحياة الفريدة الَّتِي امتازت بالانتقال من عبادة إلى عبادة, ومن طاعة إلى طاعة, شعاره الصدق والنصح والإخلاص, ودثاره السعي الحثيث في كل ما فيه نفع للعباد والبلاد وخلاص, وإذا كان الشعر منه المطبوع ومنه المكتسب فإن الشيخ حافظ من أهل القسم الأول فقد حفظت لنا وثائق التاريخ أنه كان يقرض الشعر قبل أن يدخل المدرسة السلفية, وقبل أن يلتقي بشيخه "عبد الله بن محمد القرعاوي" فقد كتب رسالة إلى الشيخ "عبد الله" حينما سمع بوجوده في صامطة يطلب فيها كتاب التوحيد للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-, وفي الرسالة نفسها أضاف طلبًا آخر وهو قدوم الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي إلى قرية الجاضع حيث تسكن أسرة الشيخ / حافظ, للإقامة فيها ليبدأ طلب العلم على يديه، وقد صدر رسالة بالبيتين التاليين:

إن الذي رقم الكتاب بكفه ... يقرى السلام على الذي يقراه

وعلى الذي يقراه ألف تحية ... مقرونة بالمسك حين يراه

وقد أشار الشيخ / عبد الله بن محمد القرعاوي إلى الرسالة المذكورة في حوادث عام ١٣٥٩هـ قال فيها: "وفيها أتانا / محمد

بن أحمد الحكمي أخو حافظ برسالة من أخيه، يطلب كتابًا في التوحيد، ويعتذر عن عدم القدوم باشتغاله في خدمة أبويه في رعي الغنم، ويطلب منا وصولنا للقرية الَّتِي هم بِها, فأجبت حالاً إلى ذلك، ومعي جملة من الطلبة، فكان ولله الحمد لا ألقي درسًا إلا ويحفظه ويفهمه فأقمت بقرية الجاضع أيامًا وكنت آتيهم مرة ويأتيني أخرى(١). كما كان -رحمه الله- يقول الشعر ارتجالاً في الجلسة الواحدة وبسرعة مذهلة وعلى ذلك أدلة كثيرة منها أن الشيخ عبد الله بن سليمان بن حميد -رحمه الله- زار المدرسة السلفية في صامطة عام ١٣٦٢هـ وفي أثناء إقامته في المدرسة عند الشيخ عبد الله سأل عن الشيخ حافظ فالتقى به وسلم عليه فأخبره الشيخ / عبد الله القرعاوي أن حافظًا ينظم أرجوزة في التوحيد فقال ابن حميد: وهل يستطيع على نظم الشعر فقال الشيخ عبد الله: نعم وعند ذلك تمثل الشيخ / عبد الله بن سليمان بقول الشاعر:

لقد سمعنا بأوصاف لكم كملت ... فسرنا ما سمعناه وأحيانًا

نلنا محبتكم من قبل رؤيتكم ... والأذن تعشق قبل العين أحياناً

فأخذهما منه الشيخ / حافظ وقال في المجلس:

الحمد لله رؤياكم قد اتصلت ... بإذن باري البرايا الله مولانا

والله يشهد أنا نحن اخوتكم ... والمؤمنون كذا في الله إخوانا

وسلمها للشيخ عبد الله بن سليمان فأعطاه جائزة قدرها ثلاثون ريالاً سعوديًا، وبشتًا أبيض، ولما اطلع الشيخ / عبد الله بن سليمان على منظومة "سلم الوصول" أعجب بِها وقال: للشيخ / حافظ إذا انتهيت من المنظومة فسمها "الأنوار الساطعة في معتقد طلاب العلم بصامطة" فقال الشيخ حافظ: هذا من الإعجاب، وإذا اكتملت سميتها فلما انتهى منها سماها "سلم الوصول إلى علم الأصول".

---

(١) مجلة المنهل السنة الثامنة (ج٥) جمادى الأولى عام (١٣٦٧هـ).

وأذكر أنني في عام ١٣٩٥هـ. تقريبًا عثرت على البيتين اللذين تمثل بهما الشيخ / عبد الله بن سليمان في ورقة صغيرة ولَم أعثر على رد الشيخ / حافظ عليها بالبيتين اللذين تم إيرادهما قريبًا, فأنشأت ما يشبه الرد قائلاً:

استغفر الله في الأحوال أجمعها ... وأشكر الله نعم الرب مولانا

إن نلتمو حبنا من قبل رؤيتنا ... فذاك فضل من الرحمن أولانا

سبحان من جند الأرواح فأتلفت ... والهم الكل برًا ثُمَّ إحساناً

والله يشهد والأملاك قاطبة ... على محبتكم صدقًا وإيمانا

ما ذاك إلا لأن الدين أوجبها ... بِها نكون عباد الله إخوانا

فكم من الآي قد جاءت مفصلة ... في الحب في الله إيضاحًا وتبيانا

وكم حديث رواه العدل متصلاً ... كما علمتم ورب الخلق يرعانا

والحمد لله في سر وفي علن ... ثم الصلاة على المختار عرفانا

ما زمجر الرعد في العلياء متصلاً ... أو غرد الطير في الأفنان جذلانا

والآل والصحب نُهديهم تحيتنا ... كمثل غيث مدى الأزمان هتانا

* * *

أمثلة متنوعة من شعره

- أ -

في حفل عيد الأضحى عام ١٣٦٨هـ الذي أقامه الأمير مساعد السديري شارك الشيخ حافظ فيه بقصيدة هذا نصها:

مني التحية والسلام عليكم ... وأخص صدر الجمع ثُمَّ أعمم

الحمد الله الذي هو أهله ... إذ كل أمر منه يخلو أجذم

وإليكم في العلم نظم صفاته ... والعلم أعلى ما يقال وينظم

العلم نور لا انطفاء لضوئه ... وبه الهداية للَّتِي هي أقوم

وبه السعادة والشقاء بفقده ... وبه يميز ما يحل ويحرم

وبه يبين الرشد من غي كما ... يمتاز أهل العدل ممن يظلم

وبه يدين المؤمنون لربِّهم ... أترون كيف يدين من لا يعلم

أترى تنور غير من يعني به ... أم هل تدهور غير من عنه عموا

والفوز في الدارين ليس يناله ... أحد بغير العلم فادروا واعلموا

يلج الألى اتبعوه جنة ربَّهم ... زمرًا ومأوى المعرضين جهنم

ووجوههم تبيض من أنواره ... في يوم تسود الوجود وتظلم

يتمتعون ويفكهون بِما اشتهوا ... في دار خلد إذ يجازي المجرم

وعليهم الأملاك من أبوابِها ... تأتي تحييهم بِها وتكرم

وعنيت بالعلم الكتاب وسنة ... المختار مرقى للفلاح وسلم

وهما لنا الحبل المتين فمسكوا ... والعروة الوثقى الَّتِي لا تفصم

وسواهما عون على معناهما ... أو من خلافهما فسم علقم

وبأهله أعني من اتبعوهما ... قولاً وفعلاً واعتقادًا منهمو

يا حاملي نَهج الشريعة فابذلوا ... مجهودكم في نصره لا تسأموا

واحموا شريعتكم واحيوا دينكم ... ولنافع العلم انشروا لا تكتموا

وإذا علمتم ضده فجهاده ... فرض عليكم لازم متحتم

وإذا سواكم عنه أحجم فاقدموا ... وإذا تأخر غيركم فتقدموا

إن الجهاد لهو ذروة دينكم ... فمن الذي يحييه إن أعرضتم

لا تطمعوا الأعداء فيكم إن من ... لم يصدم الأعداء صبرًا يصدم

وجماعة الدين الحنيف فوحدوا ... إن التفرق للبلاء الأعظم

إن الأولى اجتهدوا بشأن حظوظهم ... وحطامهم فتكالبوا وتحطموا

ليس الذي طلبوه أعلى مقصدا ... كلا وليسوا هم بأولى منكم

وإذا تفانوا هم على الفاني سدى ... فعلى الذي يبقى تفانوا أنتم

والفرصة اغتنموا فإن إمامكم ... بحياته داعي الهداية يغنم

علم به الساري لخير يهتدي ... وبمثله في المكرمات يؤمم

متقدم في نشر كل فضيلة ... وكذا رعيته به تتقدموا

سهم على نَهج النجاح مسدد ... سهم إلى قلب العدو مصمم

عزم وحزم كله وخصاله ... ذاتا وفعلاً تستجاد وتعظم

أحيا الشريعة بالكتاب وحاطها ... وحمى حماها منه سيف مخذم

وشعائر الدين العظام أقامها ... وبه مشاعره الحرام تعظم

فلتبق يا عبد العزيز مؤيدا ... بالله ثُمَّ بجنده لا يهزم

إنا وربك تفتديك نفوسنا ... من كل مكروه وربك يعلم

وإذا الأجانب عند ذكر رءوسهم ... صفقوا بأيديهم وصوتا همهموا

فإذا ذكرت فمن صميم قلوبنا ... صافي الدعاء بكل خير يعظم

ثُمَّ الصلاة على الرسول وآله ... صلوا عليه وتابعيه وسلموا

وأسبح الله العظيم جلاله ... وبحمده أبدأ بذاك واختم

وعليكموا مني السلام تحية ... عودًا على بدء فحيوا واسلموا

- ب -

وهذه قصيدة أنشأها في سنة ١٣٦٨هـ. بمناسبة تقسيم فلسطين ركز فيها على وجوب الاعتصام بالوحيين وإقامة فرض الجهاد ورفع علمه لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى.

حمدًا بلا حد ولا إحصاء ... لله والي الحمد والنعماء

ثُمَّ الصلاة على النَّبِي محمد ... من جاءنا بالملة السمحاء
والآل والصحب الكرام وتابعٍ ... لهمو بنهج السنة الغراء
اعلم بأن الله جل جلاله ... قد ماز من يشقى من السعداء
في سابق العلم الذي هو وضعه ... وكتابه الأزلي باستقصاء
لكنه في الأرض أهبط آدما ... ثُمَّ ابتلاه بأكبر الأعداء
ولربنا في ذاك أبلغ حكمة ... وأتم عدل في نفوذ قضاء
والرسل أرسل كل آخر فترة ... تترى بذكر الوحي والأنباء
ليبين الرحمن متبعي الهدى ... ممن يروم عبادة الأهواء
وتدور دائرة الدمار على رءو ... س الكافرين الضلل البؤساء
المعرضين عن الكتاب وذكره ... والسالكين مسالك الإغواء
وأعز ربي رسله والمؤمنـ ... ـين جميعهم بالنصر والإنجاء
حتى استتم بناؤهم بمحمد ... أكرم به للرسل ختم بناء
فهو الرسول إلى الخلائق كلهم ... مِمَّن تقل بسيطة الغبراء
ما لامرئ أبدًا الخروج عن شريـ ... ـعته ونور طريقه الوضاء

لم يقبض المولى تعالى روحه ... حتى أشاد الدين بالإعلاء

وأتم نعمته وأكمل دينه ... ولخلقه أداه أي أداء

ومضى وأمته بأقوم منهج ... وعلى محجة هديه البيضاء

هذا وقد قال الرسول وقوله ... حق بلا شك ودون مراء

كانت بنو يعقوب فيهم أنبيا ... ء تسوسهم بالوحي والأنباء

بالأمر بالمعروف إن تركوا كما ... ينهونَهم عن منكر السفهاء

وأنا ختام المرسلين وليس من ... بعدي نبي للخليقة جائي

لكن حواريي الدعاة لسنتي ... الآخذين بمنهجي وهدائي

يحيون آثاري ويلتزمونَها ... فأولئكم في أمتي خلفائي

فتفهموا وتعقلوا وتدبروا ... وتذكروا يا معشر العلماء

يجدون فيكم ذي الصفات فتشكروا ... أولا فجدوا في ذرى العلياء

حتى يجيء من المهيمن أمره ... أي وعده دار الفنا بفناء

فيه تفاسير الأئمة أنَّهم ... لا شك أهل السنة الغراء

وهم الجماعة حيث لَم يتفرقوا ... شيعًا إلى بدع ولا أهواء

وهم الذين وجوههم تبيض إذ ... تسود قطعًا أوجه البعداء

وقضى تعالى ربنا إن لَم يزل ... للدين منهم قائم بدعاء

يهدي بحق من يزيغ عن الهدى ... ومجدد لمحجة البيضاء

فتصدر الصديق وهو إمامهم ... بعد النَّبِي وأول الخلفاء

فانظر سوابقه وقوة عزمه ... أيام تلك الردة الشنعاء

وبحق الفاروق شمر بعده ... إذ للخلافة قام بالأعباء

وتلاه ذو النورين ما زالت مآ ... ثره على رغم من الدهماء

وقفا أبو السبطين لكن قام عن ... ـد تفرق وإراقة لدماء

لكنه ما زال طول حياته ... يسعى لنار الشر بالإطفاء

حتى قضى منها على الجزء الخطير ... ـر وقد مضى في زمرة السعداء

والتابعون لهم بحق بعدهم ... قاموا بتبليغ وحق أداء

فأولئكم خير القرون وليس هم ... بحثالة وصبابة لإناء

وقضوا على البدع المضلة كلها ... بالهدم والإبطال والإجلاء

فتحوا البلاد مشارقًا ومغارباً ... بالصبر في البأساء والضراء

صبروا على البأساء والقهر وكا ... نوا في احتدام البأس أسد لقاء

والله ما غلبوا العباد بكثرة ... أو عدة مع كثرة الأعداء

لكن بدين راسخ وعزيمة ... ووثوقهم بالله واستكفاء

وكما ترى أحيوا البلاد بعدلهم ... أحيوا القلوب بوضع خير دواء

إذ ركبوه من الكتاب وسنة الـ ... هادي البشير وكان أي شفاء

فتحوا البلاد ببأسهم وبعلمهم ... فتحوا القلوب بحكمه وضياء

ثم الجهابذة الأفاضل بعدهم ... في محنة القرآن والأسماء

ومن التجهم والهوى والاعتزا ... ل تجاهرًا وتجمهر الأعداء

كأئمة التفسير والتحديث والـ ... ـفقه الجلي وأئمة القراء

كأبي حنيفة، مالك، والشافعـ ... ـي وأحمد ذي الصبر في البأساء

وأولى الصحاح الغر والسنن الحسا ... ن وغيرهم من مسندي الأنباء

الحافظون على الخلائق دينهم ... والرافعون له أعز لواء

هم ناصروا دين الهدى بإحاطة ... وحماية وولاية وبراء

وهم الرجوم لكل صاحب بدعة ... من كل دجال وذي إغواء

مثل الرجوم من النجوم لكل مسـ ... ترقٍ كما قد صح فِي الأنباء

عملوا بِما علموا وقاموا جهدهم ... لله بالشكران للنعماء

سنية أثرية نبوية ... ليسوا أولى زيغ ولا أهواء

ما أطلقت من بدعة إعصارها ... إلا ابتداها القوم بالإطفاء

في كل جيل أو مكان أو زما ... ن هم شجى بحناجر الأعداء

وأتى بقرن سابع من هجرة ... علم به يؤتم في الظلماء

أعني بذاك الحبر أحمد من إلى ... عبد الحليم نمى بدون مراء

كم هاجم البدع الضلال وأهلها ... بدلائل الوحيين خير ضياء

وقواعد التحريف هدَّ أصولها ... أعظم به هدمًا لشر بناء

بمعاول النقل الصحيح وفطرة العـ ... ـقل السليم ولين ذي الأعداء

وله جهاد ليس يعهد مثله ... إلا بعصر السادة الخلفاء

لما القرامطة الطغاة تجبروا ... وعتوا وكادوا الدين بالأسواء

فأبادهم ربي وأيد حزبه ... وأذاقهم خزيًا وشر بلاء

وكذاك سنته بنصر عباده ... معلومة الإنجاز والإمضاء

وتلاه تلميذ له ابن القيم الـ ... معرف في الأبحاث باستيفاء

وأئمة قد قارنوا لكن هما ... برزا بنصر السنة الغراء

الله يجزيهم على إيْمانِهم ... وجهادهم في الله خير جزاء

وبقرن ثاني عشر ما استحكمت ... فتن الورى بعبادة الأهواء

وعبادة الأشجار والأحجار والـ ... ـأوثان بل عبدوا عيون الماء

ولكل قوم في الأنام وليجة ... يرجونَها في الجهر والإخفاء

ويعظمون وينحرون لها بنحـ ... ـر سوائب يؤتى بِها لوفاء

وبِها جهارًا أنزلوا حاجاتِهم ... من جلب خيرات ودفع بلاء

شركًا صريحًا معلنين به ... بلا خوف من المولى ولا استحياء

وتجاهر بعظائم ومآتم ... وتآمر بالسوء والفحشاء

وفعال سوء ليس يمكن حصرها ... يأتونَها جهرًا بدون خفاء

فأتى الإمام محمد الحبر الرضا ... بين الخليقة صارخًا بدعاء

يدعو إلى دين الهدى ببصيرة ... وكمال علم كاشفًا لغطاء

يتلو براهين الكتاب وسنة الـ ... ـهادي لنهج الملة السمحاء

بأتم تبيان وأخلص نية ... وأشد عزم بل وحسن بلاء

ما زال بين الناس هذا دأبه ... ودعاؤه بالجهر والإخفاء

حتى استنار وأشرق التوحيد في ... تلك العصور الخمل الظلماء

من أرض نجد كان مطلع نوره ... وبه استنار مجاور والنائي

وأتاح رب العرش من ألطافه ... آل سعود له برفع لواء

لبوا لدعوته وشدوا أزره ... أهلا بدعوته وبالوزراء

يدعون للتوحيد ثُمَّ لسنة ... والنفي للأنداد والشركاء

فبعلمه وببأسهم كان انتشا ... ر الحق بعد تدرس وخفاء

حتى غدا في كل قطر عصبة ... يدعون للتوحيد خير دعاء

لكن أتى من بعد ذلك محنة ... وزعازع الأعداء واللؤماء

فالنور تارات يضيء ويختفي ... أخرى فبين إضاءة وخفاء

حتى أتاح له الإلة إمامنا ... عبد العزيز الأكرم الأباء

فأشاد للتوحيد أعلى معهد ... وأذل ما للدين من أعداء

وأقام طلاب العلوم منادياً ... لهمو هلموا معشر القراء

قوموا لنشر العلم في أوطانكم ... إني لكم كالأب للأبناء

قوموا بتبيان الكتاب فإنه ... ميثاق مولانا على العلماء

إياكموا أن تكتموه فإن ذا ... من موجبات الفقر والبلواء

إني أقلد كل ما في ذمتي ... أعناق أهل العلم والأمراء

ويقول يا ربي إذا وليتهم ... أمرًا فمن تبعاته أمراء

هذي مقالته فمن ينكر علي ... نا نقلها نأتيه بالشهداء

يا رب فأنصره وأيد حزبه ... والدين أظهره على الأعداء

واجمع شتات المسلمين وأل ... ف بينهم يا أرحم الرحماء

واجعل على الكفار دائرة الردى ... لا بل جميع دوائر الأسواء

هل تسمعون معاشر العلماء ألا ... تصغون نحو مقالتي وندائي

وأخص نجدا والرياض أخصها ... وأخص آل الشيخ باستدعائي

يا طالبي علم الشريعة فانْهضوا ... وادعوا عباد الله باستهداء

انحو بِهم نحو الصراط المستقيـ ... ـم ورفض كل طريقة عوجاء

كيف انتصار المسلمين وجهلهم ... عن دينهم في غفلة عمياء

فإلى متى هذا الجمود ألم تروا ... طمع العدو وشدة البأساء

طلب الجماهير الصنائع فارتقوا ... فيها بلا حد ولا إحصاء

أفلا ترقون العباد بدينهم ... ليروا منار الحق دون خفاء

لا تركنوا لمآكل ومشارب ... وملابس ومتاع دار فناء

ما حقنا الإخلاد في الدنيا وزخـ ... ـرفها وجيفة ميتها العفناء

بل حقنا أن نستعين بذلك الـ ... ـعرض القليل إلى مقام بقاء

يا قوم والله العظيم لقد أتى ... مصداق ما قد صح في الأنباء

قال الرسول وكان أصدق قائل ... والله في جهر وفي إخفاء

كان ابتدا الإسلام جاء بغربة ... وتعود غربته كحين بداء

أنتم بأعصر غربة الإسلام طو ... بى يا أولي الألباب للغرباء

المصلحون إذا سواهم أفسدوا ... والسالكون لمنهج السعداء

يا إخوتاه اسعوا إذا ما فرصة ... سنحت فإن الغبن بالإبطاء

ما دمتم في صحة وتفرغ ... بل قدرة إن ثُمَّ أهل إباء

لا تُهملوا أغلى وأعظم نعمة ... بل بادروا بالشكر للنعماء

هذا جهاد ليس دون جهاد أه ... ـل الكفر بل أبدى لدى العقلاء

فإذا اهتدى كل الرعايا وانجلت ... عنهم طغاية غفلة الجهلاء

فهناك فاغزوا من أردتم تنصروا ... وتؤيدوا حقًّا على الأعداء

وعليكم بالاجتماع فإنَّما ... كان التفرق مدخل الخبثاء

إن التفرق للفضائل مغلق ... لكنه مفتاح كل بلاء

ما كان نصر الله صدر الأمة الـ ... ـمهدية الميمونة الصلحاء

إلا بتأليف المهيمن بينهم ... والاجتماع بدون ما شحناء

أو لَم تروا لما تفرق أمرهم ... كيف استمر تقهقر لوراء

حتى انتهى الأمر العظيم كما تروا ... من محنة إن كان فيكم رائي

خطب جليل فادح ومصائب ... متراكمات بل عضال الداء

أضحى أولو الإسلام بين عدوهم ... مثل السفينة في اضطراب الماء

وأشد من ذا لو يفكر عاقل ... لكن فقدنا جملة العقلاء

كون العباد جميعهم عن كل ذا ... في غفلة أو غفوة وسناء

هذا وقبل دعاء كل المسلمي ... ن معممًا لجميعهم بندائي

فاخصكم يا معشر العرب الحما ... ة الدين أنتم صفوة الأحياء

وأخص سكان الجزيرة مهبط الـ ... ـقرآن نورًا مشرقًا بضياء

الفاتحين جميع أرض الله في ... صدر النبوة نَهضة الخلفاء

بعلومكم حقًّا وأيديكم قضى ... ربي لهذا الدين بالإعلاء

حتى استقام معززًا وموقراً ... وله الأعارب أعظم الوزراء

فلتنهضوا أنتم وكل المسلمي ... ن لدارس الآثار بالإحياء

يا أمة الإسلام طال رقادكم ... حتى استطالت شرة الأعداء

واستحكم الداء العضال عليكم ... ولعله يفضي إلى الإعياء

فمتى نرى استيقاظكم من نومكم ... لتعالجوا ما نابكم من داء

أو لَم تروا أعداءكم قد أصبحوا ... يبغونكم سوًا وشر بلاء

وبكم أحاطوا من جميع جهاتكم ... طوفان نار الكفر لا بالماء

ويحاولون جميعهم دين الهدى ... هدمًا ونور الله بالإطفاء

أترون قط عدوكم حزب اليهو ... د الأمة الغصْبية البعداء

ما قدر قيمتهم بقيا المسخ ... واللعنات بل والمقت والإخزاء

قد كان يكفينا هموما بينهم ... القى من العدوان والبغضاء

لم يوقدوا أبدًا لحرب نارهم ... إلا رماهم الله بالإطفاء

ضربت عليهم ذلة أبدا ومسـ ... ـكنة وما هم قط بالأكفاء

ما كان القرد والخنزير أن ... يلقى الأسود مبارزًا بلقاء

والله ما إدخالكم للقدس من ... أرض الإله ومهبط الأنباء

إلا مكيدة ماكر بالمسلميـ ... ـن يروم منا أمة الحنفاء

يا قوم فانتبهوا لأنفسكم وديـ ... ـنكم الحنيف بدون ما استخفاء

أطمعتموا في النصح من أعدائكم ... ويح المريد صداقة الأعداء

يا طامعًا يجني القتاد وشوكه ... رطبًا، ومحتلبًا من الأسداء

هيهات جمع النار والما بل وهبـ ... ـات الأكالب ليس بالخلفاء

أو لَم تروا تقسيمهم أوطانكم ؟ ... هل يستقر بأنفس العقلاء ؟

فضلاً عن الدين الحنيف وعدله ... أفلم يكن من كل ذا ببراء

أترون فوضنا إليهم أمرنا ؟ ... أم هم لنا أضحوا من الوكلاء ؟

أم نحن حاكمنا إلى طاغوتِهم ... حتى نقابل حكمهم برضاء

لكن رأوا في المسلمين تأخراً ... عن غزوهم ووقائع القدماء

فاستضعفوهم ثُمَّ قالوا بينهم ... ايتو نقسم منزل الضعفاء

بغيًا ونمنمة العلوج من اليهو ... د المبعدين ببأس كل جلاء

حسبوا حمى الإسلام لقمة آكل ... يتمتعون بِها متاع هناء

والله ما سم الأساود شربة ... بأمر منهم في لقا الهيجاء

كلا لئن لَم ينتهوا عن غيهم ... وعتوهم وتمرد الخيلاء

ليصبحن بكل سهم صائب ... وبكل داهية لهم دهواء

ولتردفن جحافل بجحافل ... في تلوها أخرى بلا احصاء

وكتائب تقفو الكتائب ترتدي ... بكتائب في غدوة ومساء

مثل الجبال الراسيات وكالغيو ... م الهائلات الهمل السمحاء

باعوا من المولى النفوس بجنة الـ ... ـمأوى فأنفذها لهم بوفاء

لم يستقيلوها ولا طلبوا الخيا ... ر فاربحن بصفقة السعداء

لا يطلبون سوى الشهادة كلهم ... فالموت مثل الشهد للشهداء

ويقودهم جيش الملائكة العلى ... دفعًا من المولى عن الحنفاء

لا تحسبن الله خاذل دينه ... وعباده يا معشر الغوغاء

لا تحسبوا الإمهال إهمالاً فأمـ ... ـر الله فيكم نافذ الإمضاء

لا تعجزوا الرحمن شيئًا أن تفو ... توه فرارًا من نفوذ قضاء

فالله مظهر دينه وعباده ... وعد عليه محقق الإيفاء

ووثوقنا بالله أعظم عدة ... هو حسبنا في شدة ورخاء

إياه نعبد وحده وبه استعا ... نتنا ونصرتنا على الأعداء

وإليه نفزع في الشدائد والبلى ... وله علينا أسبغ النعماء

يا رب فارزقنا الثبات على الهدى ... وعلى سلوك طريقه البيضاء

واسلك بنا نَهج النجاة ونجنا ... من شر كل ضلالة عمياء

واجعل كتابك يا كريم إمامنا ... ورسولك المقدام للحنفاء

وانصر على الأعداء حزبك إنَّهم ... خبطتهمو فتن من الأعداء

رامو بنا السوأى بسوء مكائد ... فاقصمهمو يا رب بالأسواء

واردد عليهم كيدهم في بيدهم ... وأبدهمو ربي عن البيداء

أظهر على الأديان دينك جهرة ... وشعاره فارفع بدون خفاء

واجعل لوجهك خالصًا أعمالنا ... بعبادة وولاية وبراء

ثم الصلاة على الرسول وآله ... والحمد للمولى بلا إحصاء

- ت -

قصيدة ألقاها بمناسبة زيارة لجنة زارت مدارس الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي، أشاد فيها بدعوة الشيخ عبد الله بن

محمد القرعاوي, ومساندة الملك عبد العزيز لتلك الدعوى الخيرة الَّتِي تم بفضل الله ثُمَّ بِها الانتقال من حياة الجهل المظلمة إلى حياة العلم بالله وبرسوله وشرعه المطهر والإيْمان الحق بذلك والعمل به والدعوة إليه وهذا نصها:

لك الحمد يا من بالهداية أنعما ... وللفضل أولى والمحامد ألهما

لك الحمد يا ربي كما أنت أهله ... كثيرًا دوامًا يملأ الأرض والسما

على نعم قد أسبغت كل لحظة ... فسبحانك اللهم مولى ومنعما

بعثت ختام الأنبياء محمداً ... بشيرًا نذيرًا هاديًا ومعلما

وآتيته الفرقان نورًا مبينا ... هدى وشفاءً للقلوب من العمى

وأيدته بالنصر والرعب في قلوب ... أعدائه من سير شهر متمما

إلى أن له أكملت دينًا رضيته ... لكل الورى من ساكني الأرض والسما

وأسفر صبح الحق بالحق وانجلت ... دياجير كفر بعد أن كان أظلما

من بعده ولي الخلافة صحبه ... أئمة حق كالبدور فأنعما

أبو بكر الصديق في الغار ثانيا ... ومن بعده الفاروق بالفضل قد سما

وعثمان ذو النورين حقًّا وأوله ... عليًّا أبا السبطين أكرم وأكرما

وسائر أصحاب الرسول على هدى ... فكلهموا قد كان بالحق قائما

ومن بعدهم فالتابعون توارثوا ... جميع علوم الدين صرفا مسلما

حفظت بِهم دين الهدى وحميته ... وكل عدو عاد بالغيظ مرغما

وما زال منصورًا مصونًا مؤيدا ... بنصرك يا ربي لك الحمد دائما

وما زالت الأهواء تضرم نارها ... فتطفي بنور الحق ما كان أضرما

وطائفة التوحيد بالحق لَم تزل ... مؤيدة منصورة لن تقاوما

يقيض منهم كل وقت عصابة ... لكشف ضلال خص أو كان عمما

ولم تخل أرض الله منهم بحمده ... إلى أن يجيء أمر من الله حتما

وفي قرن ثاني عشر من هجرة بدا ... بنجد إمام جدد الدين معلما

إمام جليل الشأن يدعى محمدا ... إلى عابد الوهاب نسبته انتمى

على حين جهل عم في الأرض كلها ... ولم يبق منها موضع منه سالما

وقد عبدوا الأنداد في كل بقعة ... قبورًا وأشجارًا وصخرًا معظما

وكم وقفوا وقفا يؤدي خراجه ... إليها عقارات وحرثًا ودرهما

وكم نحروا جهرًا لها من نحائر ... كرائم أموال عليها لتقسما

وكم طلبوا منها الغياث وأملوا ... إجابة أموات رفاتٍ رمائما

ينادونَهم في كل وقت ولحظة ... لكي يدفعوا عنهم كروبًا دواهما

فقام بنصح للخليقة داعيا ... إلى الله جهرًا لَم يكن قط كاتما

ويصرخ بالتوحيد في كل محفل ... ليحيى من الدين الذي قد تَهدما

ويعرض في كل المواقف نفسه ... ألا ناصر للدين صدقًا ليغنما

ولم يلف قط من يقوم بعزمة ... لنصرته والله أدرى وأحكما

لما ادخر الله العظيم بفضله ... لآل سعود منة وتكرما

فقاموا بنصر الله من صدق نية ... ومن ينصر الرحمن ينصره دائما

فأظفرهم ربي وأظهرهم على ... أعادي دين الله نصرًا محتما

وما ذاك إلا للقيام بدعوة ... إلى الله لا بالجند والعدة اعلما

وما زال آل الشيخ أصحاب دعوة ... وآل سعود ناصروها لهم حمى

ولا زال في نشر العلوم وبثها ... لهم قدم نحو العلا متقدما

وينكس ربي كل من قام ضدهم ... على أم رأس هاويا ومدمدما

إلى أن ولي عبد العزيز خليفة ... فأشرق نور العلم في أفق السما

له استبشرت كل النفوس وأشرقت ... وسرت به كالأرض تفرح بالسما

وقد أصبح الدين الحنيف مؤيدا ... بنصر عزيز في أمان وفي حمى

وأصبح من يدعو إلى الحق آمنا ... معارضة الأضداد لَم يخش لوما

وأصبح شمل العرب مجتمعًا به ... بحرز من الرحمن قد صار محكما

وآيس منهم كل ضد وقد غدا ... يداريه من كان الألد المخاصما

كما أنَّهم قد كان يوم اجتماعهم ... وهم لَم ينازعهم ظلوم ليظلما

وهذي علامات الظهور لديننا ... على كل دين مثلما قد تقدما

فسوف إله العرش ينجز وعده ... ويضحى جميعًا من على الأرض مسلما

كما جاء في نص الكتاب مبينا ... وفي السنة المثلى اتلها وتفهما

ومن كان ذا قلب شهيد فقد رأى ... جلائل إنعام بِها الله أنعما

ففي كل قطر فتنة قد تطايرت ... لها شرر بين الدخان بِها رمى

ولكن بلاد العرب أصبح أهلها ... بأرغد عيش آمنين وفي حمى

وذلك من فضل الإله ومنه ... لك الحمد يا ذا الملك والحمد دائما

أعبد العزيز اسمع وصية ناصح ... فإن علينا النصح فرضا محتما

كما أنه فرض عليكم أتى بذا ... حديث تميم عند مسلم محكما

فأنتم لنا قلب ونحن جوارح ... فإن تصلحوا نصلح وبالعكس لازما

عليك بتقوى الله في الجهر والخفا ... فمن يتقه كان القريب المسلما

ويجعل له رب السموات مخرجا ... ويرزقه من حيث لَم يك عالما

عليك بإحياء العلوم وبثها ... فقد عم فينا الجهل فيما تقدم

وأصبح فينا دين الإسلام دارسا ... ولَم يبق غير الاسم والرسم قائما

فأحي هداك الله ما قد أماته ... أولو الجهل من دين الهدى فتهدما

لقد كان فيما مر أهل بلادنا ... قد استبدلوا عن منهج الحق بالعمى

وضلوا وهم لا يعلمون ضلالهم ... ولم يجدوا للدين فيهم معلما

يرون معاصي الله والشرك قربة ... وما علموها قربة من جهنما

إلى أن أتانا الله من فيض فضله ... بكم فنعما جاء منه تكرما

بعثتم دعاة للعباد إلى الهدى ... يرونَهم دين المهيمن قيما

وينهونَهم عما يناقضه وما ... ينافي كمالاً منه حتى يتمما

يسوسونَهم بالرفق واللين سيرة ... الرسول كما أوصى بذا لا توهما

وأنتم لهم عون على كل من بغى ... وعارض وحي الله بالشك موهما

ومن أجل ذا كل البلاد تنورت ... وأسفر منها كل ما كان مظلما

وأضحى صراط الحق كالشمس واضحا ... فمن عاج عنه قد تعامى بلا عمى

وأسست في كل النواحي معاقلا ... لإحياء دين الحق كي يُتعلما

لأجل انتشار العلم في الأرض كلها ... ليزداد ذو علم وذو الجهل يعلما

فبالحرم المكي عمرتم مدارسًا ... وبالمدني كم قد أشعتم معالما

وكم في رياض الملك من معقل غدا ... لتوحيد مولانا مشيدًا معظما

وفي كل نجدكم مجامع قد سمت ... لذكر بِها حفت ملائكة السما

ودارا لتوحيد عمرتم بطائف ... فصار لها اسما حبذا علما سما

وقد ملئت كل المكاتب واشتفت ... بأسفار علم الدين صرفا مسلما

دواوين تفسير وفقه وسنة ... فما شابَها بدع ولا نحوها انتمى

فهل نظرة من عين عطف ورأفة ... إلى اليمن الميمون منكم تكرما

تقيمون للتوحيد فيهم مدارسا ... تنور بالتعليم ما كان مظلما

ويشفي بِها أسقام جهل تتابعت ... فيكشف عنهم إنه كان مؤلما

فقد بلغتهم منك دعوة ناصح ... بعزم مبين صادقا ما تلعثما

فحين دعاهم قد أفاقوا إفاقة ... إلى العلم كاستيقاظ من كان نائما

ولاح لهم نور من الحق ساطع ... فمازوا به ما كان من قبل مبهما

وأضحى بحمد الله منهم جميع من ... درى الحق فيهم ناصحًا ومعلما

ولكنهم لَم يستطيعوا بشأنِها القيام ... لضعف في البلاد تحكما

وأنتم لكم في الدين خير مآثر ... فسعيكمو فينا احرصوا أن يتمما

وأسال رب العرش إتمام فضله ... علينا دوامًا إنه كان أرحما

ويجمع لطفًا شملنا بإمامنا ... وأن يتولاه امتنانا وأنعما

وينصره نصرًا عزيزًا مؤزرا ... ويعلي به الحق المبين المعظما

ويجعله مفتاح خير على هدى ... ويخضع أعناق العدو ويرغما

ويؤتيه من أهل الصلاح بطانة ... تكون له بالحق عونًا ملائما

ويحفظه حيًّا ويجعل بعده ... على الحق أنجالاً له ويسلما

وبالحمد مثل الافتتاح ختامنا ... لربي وصلى ذو الجلال وسلما

علىالمصطفى والآل والصحب كلهم ... ومن بعدهم قد كان للسنة انتمى

ويجعلنا من تابعيهم على الهدى ... ويؤتينا في الحشر نورًا متمما

- ث -

قصيدة(١) ألقاها في حفل أقيم على شرف الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود -رحمه الله- حينما زار صامطة وكان الحفل في المعهد العلمي في يوم السبت ٨/١/١٣٧٤هـ وهذا نصها:

أهلاً ففي ظلك الممدود والرحب ... ومرحبًا من بني بر بخير أبي

كفيت من تعب عوفيت من نصب ... وقيت من وصب وافيت في خصب

عليك منا سلام المقتدي وبه ... حُييت ولتحي للإسلام والعرب

حُييت زورًا وفي حل ومرتحل ... حييت عن حاضر منا ومغترب

تحية الله نتلوها مباركة ... بريئة من تقاليد ومن صخب

زهت تِهامة وازدانت بمقدمكم ... كما ترنح إعجابًا ومن عجب

لا غرو أن غردت تلك البقاع بِها ... ورجعت بلسان الحال واطرب

أنا الوهاد وقد أسموا بموطئكم ... فوق العنان وأعلو ذروة الرتب

وأشرق المعهد العلمي مزدهرًا ... وحق ذاك له بالعاهل العربي

بالعاهل العربي ابن العاهل العربي ... ابن العاهل العربي ابن العاهل العربي

الباعث المجد في أنحاء أمته ... والوارث المجد من آبائه النجب

طابت أصول فطاب الفرع ثُمَّ علت ... به المعالي معًا في ما عليه رُبي

إقامة الوحي والإيْمان نشرهما ... وسنة المصطفى البيضاء لَم تشب

تحكيمه الشرع إخضاع النظام له ... لَم يثنه كيد أضداد ولَم يهب

أضف لهذا نعوتًا من شمائله ... أسمى من الشهب أو أهمى من السحب

كالصبر في حذر والحزم في نظر ... والصفح في ظفر والحلم في الغضب

فللمفاخر جمع ضمن مفرده ... بالقول والفعل لا بالاسم واللقب

تنازع المجد أقوام ففزت به ... في حلبة السبق إذا أحرزت للقصب

سدت العروبة بل أحييت سؤددها ... بِما به سادت الأجيال في الحقب

توحيد ربك مع توحيد شرعته ... توحيد أمتنا عن فرقة العصب

بذلت في الحق طاقات تشد به ... وكان تغشاه طاقات من الحجب

وحطته من جهات لا يحيط بِها تلك ... وصفًا قريض ولو أغلت في الأدب

المسامع والأفواه مع مقل ... ملأى فأغنت عن الأشعار والخطب

أحييت عدلاً وأمنًا شاملاً ورخى ... فزال بالعدل شر الخوف والشغب

وما اكتفيت بأكفاء وثقت بِهم ... ممن رضيت حلاهم أي منتخب

حتى تفقدت من ترعى مباشرة ... مستعذبًا كل ما تلقى من النصب

أنْهلتنا العذب من علم هديت به ... واليوم ننهل من عذب بمنسكب

كانت تشد رحال الحي تطلبه ... فعاد يؤخذ بالأيدي بلا طلب

أحييت ميتًا ومن يحيى الموات له ... كما تداوله الأثبات في الكتب

وفقت فأمض على نَهج الهدى قدماً ... مستمسكا عروة من أوثق السبب

في الله جاهد وثق بالله معتصمًا ... فإن معتصمًا بالله لَم يخب

وادأب ينير لك الوحيان مذهبك ... المرضي تحييهما في عصرك الذهبي

وتنشر العدل ينزاح الضلال به ... ولتنصر الحق إذلالاً لمجتنب

(١) مخطوطة عندي من الأصل، ومن اللطائف الَّتِي يحلو ذكرها ويحسن تسجيلها أن جائزة الشيخ حافظ على هذه القصيدة من الملك سعود كانت قيمة في ذاك الزمان ومرضية، والحاجة إليها ماسة وكانت تحويلاً صريحًا على مالية جازان غير أنه قد أخفاها طيلة حياته حسب علمي ولَم يقدمها للجهة المذكورة، بل إنَّما قدمت إليها بعد وفاته، فرحم الله من حث على الزهد والورع والتقلل من الدنيا فكان في ذلك مثالاً يحتذى وقدوة صالحة لغيره من الورى في القول والفعل والأخلاق والعمل.

ولتجر في فلك العلياء مكتملاً ... من حول هالتك الأشبال كالشهب

ففيصل الفصل في يمناك فانتضه ... في حده الحد بين الجد واللعب

ومشعل البأس في حلق العدو شجا ... وفي الوطيس شواظ قاذف اللهب

وكل أسرتك المحمود سيرتَهم ... غيظ العدا وزرا حق بلا ريب

آراؤهم كعلامات النجوم هدى ... كما عزائمهم أمضى من القضب

هم الجبال الرواسي الشامخات فلا ... هم يستخفون من رغبى ولا رهب

وشعبك الحي عدنان الحماة ومن ... أبناء يعرب أرواع ذوو شبب

فما تِهامة إلا نجد دعوتكم ... وليس قحطان إلا عابر العرب

وكل من دان بالتوحيد دعوتُهم ... جماعها كلنا اتباع خير نبي

ندعو ونرجو إلهًا لا شريك له ... ونستضيء الهدى من خاتم الكتب

هو النظام السماوي الكفيل بما ... فيه السعادة ثُمَّ الأمن من عطب

فليلزم المسلمون اليوم رابطة ... الإسلام ولتفن عن جنس وعن نسب

والاعتصام بحبل الله قاطبة ... إن التفرق لا يفضي لمرتغب

وإنَّما دول الإلحاد وارثة ... ميراث أسلافها من ملحد وغبي

وسوف يعلم كل غبّ قسمته ... ووعد ربك أو في جد مرتقب

فلا يغرننا منهم تقلبهم ... فللتقلب منهم شر منقلب

ولن يزالوا بسوء من قوارعها ... إن لَم تحل بِهم بالفعل تقترب

فكم نشاهد لرأي العين من عبر ... منهم وكم حفظ التاريخ من عجب

فليكفنا علم ما يرضى الإله لنا ... عن حدس مرتبك منهم ومرتكب

لا مهملين لأسباب العتاد ولا ... نرضى انصرافًا بِها عن خالق السبب

ولنحتفظ نحن بالحق الذي درجت ... عليه أسلافنا وليبق في العقب

حق أنيط به مرضاة خالقنا ... وخلقه الخلق والإرسال بالكتب

حق به تشهد الألباب مع فطر ... لَم يرتجلها الهوى بالشك والشغب

فيه السعادة والزلفى لمقترب ... فلا يقاس بِها شيء من القرب

فاسعد سعود لك الإسعاد تم كما ... حزت اشتقاق مسمى بالسعود حبي

وأقبل بيمني وفاء منك صفقتنا ... بالسمع والطوع في المعروف من أرب

على إقامتك الوحيين حكمهما ... مهما استطعت ونصر الحق حيث أبي

والكل منا لك الأعضاء عاملة ... والقلب أنت فمهما تستقم نصب

هذى النفوس وأيدينا وما ملكت ... تحت اللواء تلبيكم على الطلب

إليك زفت ذلولا سلسة وأتت ... تجر ذيلاً على استحيا وفي أدب

تشير بالباء للبشرى وما انخفضت ... إلا لرفعة قدر منك يا بأبي

ما كنت أقصد قولاً في المديح ولو ... أدعو إليه قوافي الشعر لَم تجب

لكن مساعيك ساقتها ميسرة ... وأزلفتها فجاءتني بلا طلب

لا بدع حازت فنونًا من بدائعهم ... حاشا الغلو فإن القصد أجدر بي

إذا أعذب الشعر فما قيل أكذبه ... وفي شمائلكم عذب بلا كذب

طالت حياتك بالإسلام معتضداً ... وذائدًا عن حماه كل ذي ريب

وليحي فيصل ردءًا ولتشدّ به ... إزرًا وأسرتك السامون في الرتب

هذا وليس لدينا ما نكافئكم ... إلا الدعاء ويا رباه فاستجب

- ج -

وهذه قصيدة دالية أنشأها تقريظًا لرد أبي السمج المدعو / عبد الله بن علي القصيمي:

الحمد لله لا بالخط معدوداً ... حصرًا ولا بِمدى الأزمان محدودا

لمالك الحمد موليه وملهمه ... ما زال ربي على التحميد محمودا

سبحانه من إله لا سَمِّي له ... الكل عبد وكان الله معبودا

لقد حمى الذكر حفظًا منذ أنزله ... وهكذا لَم يزل بالحفظ موعودا

حماه بالشهب ترمى كل مسترق ... ما رامه قط إلا عاد مطرودا

كذاك ف الأرض يرميهم بأنجمها ... هم الرجوم بِهم ما زال مرصودا

أئمة العلم والتقوى أولئك هم ... بيت القصيد قصدت اعلمه مقصودا

فهم مصابيح دين الله قيضهم ... يجلو بِهم ظلمات الحيرة السودا

من كل مستبصر لله منتصر ... بالله مقتدر في الله محمودا

هم الجبال ثبوتًا والبحار علو ... ما والشموس ضياء والسما جودا

فلا يزال كتاب الله معتصما ... حبلا متينا لباغي الحق ممدودا

ولم تزل سنة الهادي لطالبها ... وعذب منهلها ما زال موروداً

ولا تزال رجال العلم تحرسه ... ولا يزال لواء الحق معقودا

فلم يرم ملحد كيد لملتنا السمحاء ... إلا وألفى الثغر مسدودا

وللقصيمي رجس قد سمعت به ... ذكرا ولَم أره لا زال مفقودا

لكن تواتر وصف المشرفين ... عليه من ثقات بأن قد ساء مقصودا

وقد حكوا عنه أقوالاً شناعتها ... تكفيك في كون ما ألقاه مردودا

فظيعة ضمنت كفرًا وزندقة ... بل رد أن يفرد الرحمن معبودا

فقلت إن صح ما قالوه فيه فمن ... إيْمانه انحل ما قد كان معقودا

وصار من ربقة الإسلام منسلخاً ... وكان بالنصر للتوحيد معهودا

أبعد أن كان في أعداد ناصره ... يعود من أخبث الأعداء معدودا

أشقوة من كتاب سابق نفذت ... هذا وربِّك أمر ليس مردودا

وظلت أتلو لآيات العقود وما ... قد جاء في خلف المرتد موعودا

من أنه سوف يأتي الله جل بأنصار ... يكون بِهم ذا الدين محفودا

مستيقنًا أن سيقضي الله موعده ... أن لا يزال نصير الدين موجودا

وبينما الفكر في ذا الأمر منتظر ... إتيان شرح يجلي الغيث مشهودا

إذ اطلعت على رد عليه وفَى ... عندي بتحقيق ما قد كان منشودا

من لوذع جهبذ للدين منتصر ... يا حبذا نصر دين الله مقصودا

أبان فيه بأن الخب زاغ عن ... الحق المبين وعنه ظل مصدودا

وفارق الدين والوحيين والسلف ... الماضين بل كل شرع كان موجودا

وأنه فوق ما قد قيل فيه وما ... قالوه من بعض ذاك الشر معدودا

وأنه رام أمرًا لا يحاوله ... محاول قط إلا عاد محصودا

وأنه نابذ الإسلام مؤتفكاً ... عن كل حكم أتى في الشرع محدودا

يقول هذي هي الأغلال مانعة ... لأهلها من رقيٍّ كان محمودا

ولا رقي غيرهم من مرتق بسوى ... نبذ الشريعة أن ينقاد مصفودا

وقام يدعو لنبذ الدين مجتهدا ... بكل جهد له قد خاب مجهودا

وعنده الرب والمخلوق متحد ... بل قد يفوه بليس الرب موجودا

بل الطبيعة ما زالت مدبرة ... لكل أمر يرى أو كان مفقودا

وأنه انتقص الرسل الكرام وأهل ... العلم منقرضا منهم وموجودا

بل لا نبي ولا وحي ولا ملك ... بل كيف دين ولا يرجون معبودا

وقام يثنني على الإلحاد ممتدحا ... أئمة الكفر فرعونا ونمرودا

معظمًا لملاحيد الفلاسفة ... الطبائعيين ساء الرفد مرفودا

وأنكر الوعد والايعاد بل جحد ... الأخرى وكون مقام الحشر مشهودا

محرفًا لنصوص الوحي منحرفًا ... عنها وكان لديه الوحي مجحودا

بأخبث الرأي كي يرتاد مقعده ... من الجحيم إذا ما تاب مرصودا

وقد أضاف إلى تحريفها وإلى ... التكذيب كذبا وهزلا ليس محدودا

وقد تراه بنصر الدين مستتراً ... حباله تحتها قد خدّ أخدودا

من أين هذا وما أملاه ينبؤنا ... بأنه شر أهل الأرض مولودا

ظن الخبيث بأن العارفين بأمر الله ... لم يفهموا للرجس مقصودا

واضرب له مثل الغاوي فأتبعه ... الشيطان وأقرأه في الأعراف مسرودا

نفسي الفداء لقرم قام محتسبًا ... يهد ارصاده لا زال مهدودا

ونزه الدين عن أرجاس ما كتب ... الغاوي المضل إلى أن صار مهدودا

ورد أغلاله السوأى بلبته ... قسرًا فباء بِها المخذول مشدودا

ردًّا جليلاً جليًّا ما تكلف بل ... من بحر علم خضم ليس مثمودا

على اختصار بأنصاف ومعرفة ... مطهرًا ليس بالأفحاش محشودا

بل البيان وإرشاد السبيل على ... علم وكان برّي العلم يمدودا

فالله يجزيه عنَّا كل صالحة ... دنيا وأخرى ثوابًا ليس محدودا

وأن يثبتنا فضلا بقدرته ... بثابت القول في الدارين ممدودا

والأبعد القاصي نرجو الله توبته ... أن لا يموت على الإلحاد ملحودا

ثم الصلاة مع التسليم دائمة ... على النَّبِي المصطفى حيًّا ومفقودا

والآل والصحب والاتباع قاطبة ... والحمد لله حمدًا ليس محدودا

توجيه ونصح وهضم لحق النفس ليكون لها اهتمام أكثر بتحصيل العلم.

ذكر لي مشافهة بواسطة الهاتف الشيخ/ حسن بن زيد النجمي عضو هيئة التمييز في مكة المكرمة حاليًا, أنه دخل ذات يوم على الشيخ/ حافظ وهو جالس في جانب من جوانب مكتبته في مدينة صامطة فسلم عليه وحياه وجلس فأخذ الشيخ حافظ ورقة صغيرة -وكان يحب الدعابة الهادفة- فكتب فيها الأبيات التالية:

ببيت الشيخ كتب قد شراها ... وجمعها ولكن ما قراها

فطابت نفسه منها بسلوى ... إذا وصل المكان بأن يراها

وينظر في قطائعها ويمضي ... وهل تدري القطائع ما وراها

فوا أسفا على الأيام ضاعت ... سدى وقضى على نفسي كراها

وقد رضيت عن العليا بدون ... وباعتها ببخس في شراها

وعن أدنى المعالي قد توانت ... فهل يرجى تتوق إلى ذراها

نعم نرجو الإله يَمن لطفاً ... ويمنحها الشفا مِمَّا اعتراها

هذه مقتطفات قليلة من نظم الشيخ وشعره.

وإليك أيها القارئ الكريم من نثره أمثلة رائعة مقتطفة من خطبه المنبرية الَّتِي تَهز القلوب إن كان فيها حياة وتسيطر على النفوس إن كان لها صلة بالله، وتؤثر على الجوارح والحواس إن كان بِها خشوع عند التذكير بلقاء الله، فاقرأها يا طالب العلم وأبذل الجهد في النسج على منوالها لتكون خير خلف لخير سلف والله يرعاك ويتولاك في دنياك وأخراك.

* * *

خطبة في زلزلة الساعة وأهوالها

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونستهديه, ونعوذ بالله من شرور أنفسنا, ومن سيئات أعمالنا, من يهد الله فلا مضل له, ومن يضلل فلا هادي له, وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له, وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله, أكرم نبي أرسله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فأوصيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله فاتقوا الله عباد الله رحمكم الله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج:١-٢].

فاتقوا الله من شرفكم بخطابه، وذكركم في كتابه، ودعاكم لطاعته إلى بابه، وشوقكم إلى جزيل ثوابه, وحذركم أليم عقابه، وناداكم نداء من لطف بكم وأحبكم: يا أيها الناس اتقوا ربكم" تَمسكوا بالتقوى فهي العروة الوثقى، واتركوا ما يفنى واطلبوا ما يبقى، وتزودا لسفركم يقينًا وصدقا، واغسلوا قلوبكم بِمياه الأحزان, لعلها من آثار العصيان تنقى، وأكثروا على ذنوبكم السالفة ندبكم, "يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم" زلزلة توجل لها القلوب، زلزلة تظهر عندها العيوب، زلزلة تشتد فيها الكروب، زلزلة منها أفئدة العصاة تذوب فالعذاب شديد والعقاب أليم "إن زلزلة الساعة شيء عظيم" زلزلة يشيب فيها المولود، زلزلة تشهد فيها الجلود, زلزلة تخد فيها دموع الخدود، زلزلة يفر فيها الوالد من

المولود, ويتبرأ الحميم من الحميم, "إن زلزلة الساعة شيء عظيم" انظر لنفسك قبل أن لا يمكن النظر، وتفكر في أمرك قبل أن لا تنفع الفكر، ومثل يوم الحشر إذا بدا وظهر، وتزود للرحيل وتأهب للسفر، وخذ عدتك لنقلتك فلست بِمقيم "إن زلزلة الساعة شيء عظيم, "يوم ترونَها تذهل كل مرضعة عما أرضعت" أما الأرض فتزعزعت، وأما السماء فتضعضعت، وأما الأفئدة فتقطعت، علما بِما في الصحف أودعت, "يوم ترونَها تذهل كل مرضعة عما أرضعت" خسف القمر وكورت الشمس، وخلت الديار وامتلأ الرمس، فأصبحت الأرض كأن لَم تغن بالأمس، وجاءت القيامة فأسرعت، "يوم ترونَها تذهل كل مرضعة عما أرضعت" بينما الناس في أسواقهم، في غدوهم وشرائهم وإشراقهم، صيح بِهم من آفاقهم, يا لها صيحة أفزعت, "يوم ترونَها تذهل كل مرضعة عما أرضعت" فتذهل حينئذٍ الأهوال، وتسير يومئذٍ الجبال، وتنشر صحائف الأعمال, وتبين قبائح الخصال، وتحصد النفوس ما زرعت, يا ناسيًا حلول الردى، يا غافلاً عما سيجري غدًا، يا أعمى البصيرة عن الهدى, وأنواره قد تشعشعت، انتبهوا يا قوم لهذا اليوم, وتيقظوا من رقدة النوم, فما أكثر سياط اللوم, وما أوجعت، كم

بالغ الواعظ وتناها، وأعاد المواعظ وثناها, وكرر التذكرة وما أراها أنجعت, ستذكرون إذا جاءت الساعة, وجوزيت النفوس بِما سعت "يوم ترونَها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها"، هنالك تندب النفوس خطأها وجهلها، وترى أن قد غرها الشيطان واستزلها، إذا اخترط الغضب سيوف العقاب واستنزلها، وتضع كل ذات حمل حملها، ويح العصاة ما أذلها, ويل العتاة ما أقلها, أمرضها الإزعاج وأعلها, وأنْهلها كأس الخوف وأعلها, "وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى" ولكنهم من شدة الهول الفظيع حيارى، يولون مدبرين ولن يعجزوا الله فرارًا, ما لهم من الله من عاصم ولن يجدوا من دون الله أنصارًا، لا حيلة تنفع, ولا عذر يسمع, ولا يملكون درهمًا ولا دينارًا، فترى المجرمين يومئذٍ مقرنين في الأصفاد أسارى، "وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد" فتنبه يا وسنان فالوعيد أكيد، وأفق يا سكران فالأجل غير بعيد، وأقلع يا كسلان عن تطويل الأمل المديد، وتزود يا مغرور ليوم الوعيد، فالأمر هائل والموقف طائل والحساب عسير والناقد بصير والكتاب للصغير والكبير محصٍ، والميزان للنقير والقطمير والذرة مستقصى

والحاكم العدل العليم عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم، في الصحيح عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال النَّبِي صلى الله عليه وسلم (يقول الله عز وجل يوم القيامة: يا آدم, يقول: لبيك ربّنا وسعديك, فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثًا إلى النار, قال: يا رب وما بعث النار, قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين, فحينئذٍ تضع الحامل حملها ويشيب الوليد، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد، فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم فقال النَّبِي صلى الله عليه وسلم من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين ومنكم واحد، وما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جنب الثور الأبيض أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود، وإني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة. فكبرنا، ثُمَّ قال: ثلث أهل الجنة. فكبرنا، ثُمَّ قال: شطر أهل الجنة. فكبرنا) (١).

اللهم إنا نسألك إحلال رضوانك علينا في دار الكرامة، ونعوذ بك من ضيق المقام يوم القيامة، ونسترزقك الفوز العظيم يوم

الحسرة والندامة, فاغفر لنا ولوالدينا وإخواننا ولجميع المسلمين، وادخلنا في واسع رحمتك يا أرحم الراحمين.

* * *

خطبة في كتابة الأعمال في الدنيا

ونشر الصحف يوم القيامة

الحمد لله رب العالمين، وقيوم السماوات والأرضين، مبدئ الأولين والآخرين ومبيدهم، وباعثهم بعد الممات ومعيدهم، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، ويقضي بعدله وحكمته ما شاء وما ربك بظلام للعبيد, أحمده تعالى وأشكره, وأتوب إليه واستغفره, وأسأله رضوانه وأعوذ به من أليم عذابه الشديد, وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أكرم نبي أرسله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فأوصيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله فاتقوا الله عباد الله رحمكم الله واعلموا أن الله مع المتقين، واتقوا النار الَّتِي

وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين، واعلموا عباد الله أن كل لحظة مضت من ليل أو نْهار فقد ذهبت من آجالكم، وكل فعل وقول صدر عنكم فقد كتب من أعمالكم, فما مضى من لحظاتكم فليس بعائد إليكم، وما كتب في صحائفكم فهو إما لكم وإما عليكم، من عمل صالحًا فلنفسه ومن أساء فعليها، فعليها وبال أمرها وإحسانِها عائد إليها، فلينظر أحدكم ماذا يمليه في صحيفته على الكرام الكاتبين, فسيحصون عليه قليله وكثيره حتى يأتيه اليقين، ثُمَّ تطوى صحيفته على ما فيها من إساءة وإحسان، لا يستطيع تغيير شيء من ذلك بزيادة ولا نقصان. فإذا كان يوم القيامة نشرت له صحيفته فتلاها, فوجد أعماله مسطرة كما أملاها, فإن كان محسنًا فرح بذلك واستبشر, وفاز بالنعيم المقيم والثواب الأوفر، وسعد بالنظر إلى وجه ربه العلي الأكبر , فازداد بذلك سرور قلبه, ولذة روحه ونضرة وجهه فاستنار وأبدر , وإن كان مسيئًا ندم وتحسر، واسود وجهه وأقتر , وود الافتداء بِملء الأرض ذهبا وأكثر.

(١) أخرجه البخاري في الأنبياء باب قصة يأجوج ومأجوج (ج٤ ص ١١٠)، ومسلم في الإيْمان باب قوله: (يقول الله لآدم..) (ج١ رقم ٢٢٢).

فلا يقبل منه صرفًا ولا عدل ولا تنفعه معذرة فيعذر, إذ قد جاءه النذير وأعذره فأعرض عنه واستكبر وتولى وأدبر. فكان جزاؤه العذاب الأكبر , وفاقا على ما تكبر , وغضب الجبار عقابًا على ما تجبر , إن من يعص ربه فقد غوى , ومن يحلل عليه غضبه فقد هوى، فالتوبة عباد الله التوبة قبل إغلاق بابِها, وامتناع قبولها، والبدار البدار بالأعمال الصالحة قبل تعذر حصولها , والسباق السباق إلى مغفرة من الله ورضوان قبل أن لا تقدروا على أسباب وصولها , والفرار الفرار إلى الله من نقمة قبل حلولها, والنجاء النجاء من سيول الأنكال على نجائب الأعمال قبل نكولها , وإياكم والركون إلى الدنيا فمآلها إلى الفناء والتدمير, ولا يغرنكم الشيطان بتزيينه الشهوات فإنَّما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير , ولا تتبعوا الهوى فيضلكم عن سبيل الله ويزلكم في هوة الحسرة والندامة والتخسير, واحذروا الأمل وتطويله فإنه ينسى الآخرة, ويورث العلو في الأرض بغير الحق وعاقبة ذلك هي التباب والتتبير,

فوالله لا يأمن غدًا إلا من خاف اليوم واتقى وباع فانيا بباق وقليلا بكثير, وشقاوة بسعادة وعاجلة مضمحلة بجنة عرضها السماوات والأرض, وآثرته الرغبة إلى الله والدار الآخرة فبادر إلى طاعة ربه ورضوانه, وحجزه الخوف والخشية من الله فارتفع عن موجبات سخطه ونيرانه: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر:٩].

جعلنا الله وإياكم ممن خافه واتقاه، وبادر إلى طاعته ورضاه، وآثر آخرته على دنياه، وغفر لنا ولكم ولوالدينا ولجميع المسلمين.

* * *

خطبة في الاعتبار

الحمد لله الملك القدوس العزيز الحكيم, هو الأول والآخر والظاهر والباطن والظاهر وهو بكل شيء عليم, خلق الخلائق لعبادته ونوع أجناسهم, وصورهم لإظهار أثار قدرته, وشرع

الشرائع والأحكام، وفصل الحلال والحرام بكتبه ورسالته , ودعاهم بذلك إلى رضوان جنته , وهدى بفضله من شاء هدايته , فاستجاب لدعوته, وأضل بعدله من شاء إضلاله فأبى إلا كفرا وإخلادا إلى هواه وشهوته, وربك أعلم بمواقع فضله وعدله لإحاطة علمه وبلوغ حكمته , هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى وكيف يخفى عليه شيء من خليقته, وقد جعل لهم عمر الحياة الدنيا ليستعمل كلاًّ فيها بِما كتب له أيام حياته وفرصة مدته, وكل ميسر لما خلق له من إسعاده وإشقائه وناره وجنته, وهيأ لهم الأسباب والأرزاق ورزقهم القوى والهمم ولَم يكلف كلاًّ منهم إلا ما أطاق من القيام بطاعة ربه والكف عن معصيته, ثُمَّ جعل لهذه الحياة الدنيا أجلاً تنتهي إليه , ورسم لها رسمًا تقف عليه , فيفني الجميع مبيدهم ولَم يبق إلا هو سبحانه وتعالى في ملكوته وكبريائه, وجلال عظمته وكبريائه, وكمال حياته وقيومته، ثُمَّ يعيدهم في الدار الآخرة بعد أن صاروا ترابًا وعظامًا ناخرة, وليس أول الخلق بأهون عليه من إعادته، فيجازي كل عامل عمله ويوفي كلاًّ سعيه كما هو مسطور في صحيفته, إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر على حسب ما اغتنم أو أهمل في أيام

مهلته , أحمده تعالى وأشكره, وأتوب إليه واستغفره، وأسأله الهداية إلى طريق رضوانه وجنته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في إلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته, وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله خاتم أنبيائه وأشرف مخلوقاته, صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فأوصيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله، فاتقوا الله عباد الله رحمكم الله واعلموا أنكم سكان دار، قد آن أوان زوالها، وعمار حياة قد حان فيئ ظلالها، ورهن أعمار قد دنا انتهاء آجالها، وخلائف قرون قد مضت والله بكمالها، كلما مضى منها عام أو شهر أو جمعة وكلما مضى يوم أو ساعة أو لحظة أو نفس فليس يعود, والجميع والله من عقد أعماركم ومن حساب مهلتكم معدود، وكل ما عملتم فمسطور في صحائفكم وعليكم به الكرام الكاتبون شهود, فلئن نسيتموه لقد أحصاه الملك المعبود، وليعرضن عليكم في اليوم الموعود، لا تخفى منكم خافية ولا يمكن المعذرة ولا الجحود، وليميزن الله الخبيث من الطيب والمقبول من المطرود, وليُنْزلن كلاًّ منْزلته في دار

الخلود، فإما في جنات تجري من تحتها الأنْهار بغير أخدود, وسدر مخضود, وطلح منضود, وظل ممدود , إما في نار شديدة السعير والوقود، وحميم يصهر به ما في بطونِهم والجلود، وعذاب غرام غير منقطع ولا محدود: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ (١٠٣) وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾ [هود:١٠٣-١٠٤].

فاتقوا الله عباد الله بامتثال أوامره واجتناب معاصيه والتصديق بأخباره من القصص والوعود, وقفوا عند الحدود, فالويل كل الويل لمن تعدى الحدود, لقد ظلم نفسه وأوردها العطب فأوردها النار فبئس الورد المورود. وأوفوا بعهد الله الذي عاهدتم فطوبى لأهل الوفاء بالعهود , واستقيموا لما أمرتم وابذلوا في طاعة ربكم غاية المجهود, واتقوا الله ما استطعتم, واسمعوا وأطيعوا وإياكم والإعراض عن ذكر الله والصدود, فإنه من يعرض عن ذكر الله يسلكه عذابًا صعدًا غير مدفوع عنه ولا مردود، ومن يتق الله يجعل مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب وما سبب رحمة يفتح الله بمسدود, وطريق الفلاح والفوز واضح فلا يوحشنكم قلة السالكين , وأسباب

النجاة يسيرة على من يسرها الله عليه فلا تغتروا بكثرة أموالكم فتكونوا من جملة الهالكين: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٣) وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء:١٣-١٤].

* * *

خطبة في ذكر القرآن ووعيده أيضًا

الحمد لله الذي له ما في السماوات وما في والأرض وهو الحكيم الخبير, يخلق ويرزق، ويحيي ويميت, ويعز ويذل, ويفعل ما يشاء وهو على كل شيء قدير, يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل في السماء وما يعرج فيها وهم معكم أين ما كنتم والله بِما تعملون بصير، أحمده تعالى وأبوء له بنعمته عليّ وأشكره، وأبوء له بذنبي وأتوب إلى الله منه وأستغفره، وأسأله الرضا بعد القضا وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر إلى وجهه في يوم المصير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ملكه وألوهيته وربوبيته وأسمائه

وصفاته ولا كفؤ ولا نظير، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله البشير للمؤمنين بالفوز العظيم والفضل الكبير، والنذير للكافرين من نار الجحيم وعذاب السعير، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المصير.

أما بعد: فأوصيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله فاتقوا الله عباد الله رحمكم الله.

عباد الله قد يسر الله القرآن للذكر فهل من مدكر، وفصل فيه كل شيء وضرب فيه الأمثال فأين المعتبر، وقص أحسن القصص في أصدق حديث فهل من مستيقظ يدكر, وأمر بكل خير في الدنيا والآخرة فأين المؤتمر، وزجر عن كل شر وخيم في الدارين فأين المخلص المزدجر، ووعد الثواب وبشر، وأنذر العقاب وحذر, فأين الخائف الوجل الحذر, وأمر بالدعاء والاستغفار, وحث على التوبة والاعتذار, فأين الأواب التائب المعتذر, ما للقلوب قد رقدت, ما لمياه العيون قد جمدت, ما لرياح العزائم قد ركدت, ما لنيران الهمم قد خمدت, يا من بقيت فيه بقية أدركها، يا من قد ملكته فسه املكها, يا من قد

أوبقته خطاياه اتركها, أشغلك جمع فضلات الحطام من حلال وحرام فلا تجمعها, وغرتك الدنيا بزخرفها.

وأنت ترى النقلة منها عن قريب فدعها، هذه آيات الله البينة المحكمة تتلى عليك فاسمعها: ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ (٤١) يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ (٤٢) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ (٤٣) يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ (٤٤) نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق:٤١-٤٥].

ذلك المنادي هو إسرافيل, بأمر الملك الجليل، نادى الخلائق أجمعهم ليعيدهم المبدي ويجمعهم, فأنفذهم الداعي وأسمعهم، يا أيتها العظام البالية، والأوصال المتقطعة, واللحوم المتمزقة، والشعور المتفرقة، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء, ذلك يوم عبوس قمطرير عصيب, يوم يشتد فيه الهول والولدان تشيب، ويعظم فيه القلق ويشتد الفرق ويلجمهم العرق ويكثر النحيب، كفاك في عظم ذلك اليوم قول المهيمن الرقيب, "واستمع يوم يناد المنادي من مكان قريب"

يوم يسمعون الصيحة بالحق صيحة الحق بالحق, لفصل القضاء الحق, من قبل الحق, يومئذٍ يوفيهم الله دينهم الحق, ويعلمون أن الله هو الحق المبين, ويرى كل عمله وإن كثر وإن دق, "يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج" يوم الخروج من القبور، حفاة عراة إلى النشور, لينشر الكتاب المسطور، ويقرأ ذلك المنشور، ويكشف المخبأ المستور، ويحصل ما في الصدور، والجلود تنطق والأشهاد حضور، وينصب الميزان، وينشر الديوان، ويحكم الديان، وتشهد الأركان، وتزلف الجنان, وتزفر النيران، وتبرز لكل كفور أعادهم مبديهم, وأحياهم مميتهم ومفنيهم, "ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة" "إن الله سميع بصير" "إنا نحن نحي ونميت وإلينا المصير" "يوم تشقق الأرض عنهم سراعًا" يا له من يوم لا يستطاع له دفاعًا، بعد أن مزقتهم اللحود تمزيقا مشاعا, وصيرت تلك الأبدان رفاتًا شعاعًا، فنفخ في الصور فقاموا عطاشًا جياعًا, فتداعوا بالويل من كان بالسرور تداعى، سماعا لما يجري يومئذٍ سماعا، يوم تشقق الأرض عنهم سراعًا, حضروا من صحراء القيامة قاعا, فوجدوه أصعب البقاع بقاعا، وتناولوا بالإيْمان والشمائل رقاعا حفظت أعمالهم فما وجدوا

شيئًا مضاعا، ذلك يوم لا يأمن فيه إلا من خاف اليوم مقام ربه وحفظ عهده وراعى يوم تشق الأرض عنهم سراعًا، عباد الله إنَّما يتذكر بالمواعظ من تذكر، إنَّما يعقل معناها من تدبر، إنَّما تغنى الآيات والنذر من تفكر، ولهذا قال العزيز الحميد: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: من الآية٤٥].

إن في القرآن ما يلين الجلاميد، وإن مواعظه لتذيب الحديد، وفيها للفهوم كل كرة زجر جديد، وللقلوب النيرة به كل يوم عيد، غير أن الغافل يتلوه ولا يستفيد، فذكر بالقرآن من يخاف وعيد، اللهم اجعلنا ممن يخاف وعيدك ويرجو موعدك يا بار يا رحيم واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين.

خطبة في الزهد في الدنيا وذكر فراقها وتقلبها بأهلها إلى أن يفضوا إلى ما قدموا

الحمد لله مولى الحمد وأهله، والشكر له على نعمه وفضله، علم وألهم، ودبر فأحكم, وقضى فأبرم، وشرع وألزم، وأنزل الكتاب المحكم، على الرسول الأكرم بالصراط الأقوم، والنور المبين والبرهان الأعظم، أحمده تعالى وأشكره, وأتوب إليه

وأستغفره, وأسأله من خير ما يعلم, وأعوذ به من شر ما يعلم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أكرم نبي أرسله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اتبع أثره وقفى منهجه الأقوم، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فأوصيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله فاتقوا الله عباد الله رحمكم الله.

عباد الله حتى متى إلى الدنيا سكونكم، وإلى عمارتِها ركونكم، أما اعتبرتم بِما مضى من أسلافكم، ومن وارته الأرض من آلافكم, ومن فجعتم به من أقرانكم, وفارقتم من إخوانكم, ولماذا على الدنيا إقبالكم، وبشهواتِها اشتغالكم, وقد وعظكم الكثير، وأتاكم النذير، وأنتم عما يراد بكم ساهون، وبلذات الفانية لاهون، وقد رأيتم انقلاب أهل الشهوات وعاينتم ما حل بِهم من المصيبات كم خرمت أيدي المنون، من قرون بعد قرون، يذهب أناس ويتبعهم الآخرون، انظروا إلى الأمم الماضية، والملوك الفانية، كيف اختطفتهم عقبان الأيام، ووافاهم على حين غفلة الحمام، فأمحت من الدنيا أثارهم, ولَم

يبق إلا أخبارهم، وأصبحوا رمما في التراب إلى يوم الحشر والمآب، كم من ذي منعة وسلطان، وجنود وأعوان، تمكن من دنياه ونال فيها ما تمناه، وبنى فيها القصور والدساكر، وخدمه الوزراء والعساكر، وجمع الأموال والذخائر، ومنح السراري والحرائر، أتاه من أمر الله ما لا يرد، ونزل به من قضاء الله ما لا يصد, فتعالى الله الملك الجبار المتكبر العزيز القهار، قاصم الجبارين ومبيد المتكبرين، الذي ذل لعزته كل ذي سلطان, وأباد بقوته كل ديان، فالبدار البدار والحذار الحذار من الدنيا ومكائدها, وما نصبت لكم من مصائدها، وتحلت لكم من زينتها، وأظهرت لكم من بَهجتها وأبرزت لكم من شهواتِها، وأخفت عنكم من قواتلها وهلكاتِها، فهل يحرص عليها لبيب، أو يسر بِها أريب, وهو على ثقة من فنائها، وغير طامع في بقائها، أم كيف تنام عين من يخى البيات, وتسكن نفس من يتوقع الممات، وما عسى أن ينال جامع الدنيا من لذاتِها، ويتمتع من بَهجتها مع صنوف عجائبها, وقوارع فجائعها، وكثرة عذابه في عناء مصائبها وطلبها, كم قد غرت الدنيا من مخلد إليها، وصرعت من مكب عليها, فلم تنعشه من عثرته، ولَم تنقذه من صرعته، فبينما هو كذلك ذاهلاً عن الآخرة والموت وما هنالك،

إذ بكى على ما سلف من خطاياه، وتحسر على ما فرط من الطاعة في دنياه، حين لا ينفع الاستغفار، ولا يقبل الاعتذار، عند هول المنية، ونزول البلية, هنالك خف عواده، وأسلمه أهله وأولاده، فغمضوا بأيديهم عينيه، ومد عند خروج الروح رجليه، وتخلى عنه الصديق, وتولى عنه الصاحب الشفيق،ثم أخرج من سعة قصره، إلى ضيق قبره, فلما سكن لحده، منفردًا فيه وحده، احتوشته أعماله ووقع عليه سؤاله وحثوا عليه التراب، وتفرق عنه القرابة والأحباب، ثُمَّ وقفوا ساعة عليه، وأيسوا من النظر إليه، وتركوه رهينًا بِما كسب، واقتسموا تراثه الذي اكتسب عادت إلى مرعاها ونسيت أختها وما دهاها، أفبأفعال الأنعام اقتدينا, أم على عادتِها جرينا, عد إلى ذكرك المنقول إلى دار البلى، واعتبر بموضعه تحت الثرى، المدفوع إلى هول ما ترى، كيف أمنتم هذه الحالة وأنتم صائرون إليها لا محالة، كيف ضيعتم حياتكم وهي مطيتكم إلى مماتكم، أم كيف تَهنؤن بالشهوات، وهي مطية الآفات، يا من يرقع بآخرته دنياه، ويركب غيه وهواه، يا مؤثر الدنيا على الدين، أراك ضعيف اليقين أبِهذا أمرك الرحمن, أم على هذا نزل القرآن، أما تذكرت ما أمامك من شدة الحساب وشر المآب، أما تذكر حال

من جمع وثمر، ورفع البناء وزخرف وعمر،أما صار جمعهم بورا، ومساكنهم قبورا، كأن لَم يكونوا شيئًا مذكورًا.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

{أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢) كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤) كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (٧) ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ} [التكاثر:١-٨].

جعلنا الله وإياكم ممن إذا ذكر ادكر، وإذا وعظ اعتبر، وإذا أعطي شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر، رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين.

* * *

خطبة في انجلاء الحقائق وافتراق الخلائق إذا خرجوا من الدنيا وأفضوا إلى الآخرة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونستهديه, ونعوذ بالله من شرور أنفسنا, وسيئات أعمالنا, من يهد الله فلا مضل له, ومن يضلل فلا هادي له, أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له, وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد: فأوصيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله فاتقوا الله عباد الله رحمكم الله.

يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يومًا لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئًا إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور, إنَّما هذه الحياة الدنيا متاع، وإن الآخرة هي دار القرار، من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحًا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب، ألا وإن الدنيا عرض حاضر, يأكل منها البر والفاجر, ألا وإن الآخرة وعد صادق

يحكم فيها ملك قادر، ألا فهل من مسابق إلى الخيرات مبادر، ألا فهل من فار إلى الله عائذ برضاه من سخطه ومعافاته من عقوبته، وبه منه ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥٠) وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

أما والله ما بعد الموت من مستعتب, ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار, بينما الناس في الدنيا على السواء فيما يرون يرزقون ويسيرون، ويذهبون ويجيئون، يؤتاها من يحبه الله ومن لا يحب, إذ جاءهم الموت فعرف كل منهم سبيله, واتضح له مقيله, فلما كانوا في البرزخ خلا كل منهم بعمله، وأفضى إلى ما قدم في مدة أجله، فبينما هم على ذلك إذ صرخ فيهم الصارخ, وصاح بِهم الصائح, فخرجوا من الأجداث مسرعين, وإلى الداعي مهطعين، هؤلاء على النجائب, وهؤلاء على الركائب, وهؤلاء مشاة وهؤلاء على وجوههم ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا (٨٥) وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم:٨٥-٨٦].

فشتان شتان ما بين الفريقين، ويا بعد ما بين الطريقين, هؤلاء إلى الرحمن يفدون, وأولئك إلى جهنم يردون, هؤلاء

بالنور ينظرون, وأولئك في ظلمات لا يبصرون، هؤلاء يقرون بذنوبِهم فيغفرها لهم أرحم الراحمين, وأولئك ينادى بِهم على رؤوس الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربِّهم ألا لعنة الله على الظالمين، هؤلاء حلوا أساور من فضة وسقاهم ربُّهم شرابًا طهورًا, وأولئك غلوا بالسلاسل وغلتهم الزبانية بالمقامع يضربون بطونا ًمنهم وظهورا، هؤلاء وقاهم الله ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا، وجزاهم بِما صبروا جنة وحريرا، متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمسًا ولا زمهريرا, وأولئك مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرًا، إذا رأتْهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا، وإذا ألقوا منها مكانًا ضيقًا مقرنين دعوا هنالك ثبورا, لا تدعوا ثبورا واحدا وادعوا ثبورًا كثيرا، هؤلاء عليهم حلل السندس والاستبرق وسائر الألوان، وأولئك مقرنين في الأصفاد سرابيلهم من قطران، هؤلاء في جنة عالية لا يسمعون فيها لغوا إلا سلامًا ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيًّا، وأولئك حق عليهم العذاب وغلبت عليهم الشقوة فتركوا في جهنم جثيا، هؤلاء إلى زيارة ربِّهم يركبون، وبالنظر إلى وجهه الكريم يتلذذون، وأولئك إنَّهم عن ربِّهم يومئذٍ محجوبون، هؤلاء يقال لهم سلام عليكم بِما صبرتم فنعم

عقبى الدار، وأولئك يقول لهم الله اخسئوا فيها ولا تكلمون، وما هم بخارجين من النار, ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ (١٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ (١٥) وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ [الروم:١٤-١٦].

هنالك والله ظهر الفرقان، وافترق الطريقان، وامتاز الفريقان، وصار الغيب شهادة, والسر علانية, والمستور مكشوفًا, والمخبأ ظاهرًا, ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم:٣٥-٣٦], ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص:٢٨], ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٢١) وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الجاثية:٢١-٢٢]. كم من كاس في الدنيا طال يومئذٍ عريه، كم طاعم في الدنيا عظم يومئذٍ جوعه، كم ريان في الدنيا اشتد يومئذٍ عطشه كم ناعم في الدنيا حق به يومئذٍ بؤسه, ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ

لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٣) مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. [القصص:٨٣-٨٤].

جعلنا الله وإياكم ممن يستمع القول فيتبع أحسنه، وآتانا وإياكم في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وجعلنا وإياكم ممن يأتي يوم القيامة بالحسنة إنه سميع الدعاء.

* * *

خطبة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور، وقضى الشقاوة والسعادة وجعل الظل والحرور، وخلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور، أحمده تعالى وأشكره, وأتوب إليه وأستغفره, وهو الغفور الشكور, وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، خالق كل شيء وهو على كل قدير وإلى الله ترجع الأمور, وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله أرسله كافة إلى الناس بالهدى والنور, صلى الله عليه وسلم

وعلى آله وصحبه الأئمة البدور، وتابعيهم بإحسان إلى يوم النشور.

أما بعد: فأوصيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله فاتقوا الله عباد الله رحمكم الله كما دعاكم إلى تقواه إن كنتم تسمعون, ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢]. وتقوى الله جماعها امتثال ما أمر الله به والدعوة إليه واجتناب ما نَهى الله عنه, وزجر من قدم عليه, فتمسكوا بذلك لعلكم تَهتدون، ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:١٠٤]. ألا وإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شغل الأنبياء, وقد خلفهم فيه خلفاؤهم الأتقياء, ولولاه لعم الجهل وبطل العلم, وتركت الطاعات, وارتكبت المحرمات, وعتى السفهاء الأغبياء، وعم العقاب الخاص والعام, ووهت أصول الدين وتَهدمت قواعد الإسلام، وحل بالعالم ما حل بمن قبلهم من الجبابرة الطغاة, فإن الفساد إذا فشا في الأرض وطم، شمل العقاب عليه الفاعل والراضي والمتابع وعم, كما قال الله تعالى مبينًا عاقبة ذلك ومذكرًا, ومنذرًا عن السكوت

على المنكر ومحذرًا ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال:٢٥].

وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [هود:١١٦]. وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف:١٦٥]. فأخبر تعالى أنه إذا حل بأهل المنكر غضبه وأنزل بِهم عقابه لَم ينج إلا من نَهى ولا نَهى أحد إلا نجى.

فِيهِ حَدِيثٌ ضَعِيفٌ

وفي الصحيح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده فإن لَم يستطع فبلسانه فإن لَم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيْمان)(١). وفيه من حديث عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها- قالت: (يا رسول الله أنَهلك وفينا الصالحون، قال صلى الله عليه وسلم نعم, إذا كثر الخبث) (٢). وقال صلى الله عليه وسلم (من كره فقد برئ, ومن

أنكر فقد سلم, ولكن من رضي وتابع)(٣). وفي الحسان من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك. ثُمَّ يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يَمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده, فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض)(٤).

(١) أحمد في المسند (ج٣ ص١٠، ٢٠، ٢٥، ٩٢)، ومسلم في الإيْمان باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيْمان (ج١ رقم ٤٩ ص٦٩).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة باب اقتراب الفتن (ج٤ ٢٨٨٠ ص٢٢٠٧).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة باب وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع وترك قتالهم ما صلوا (ج٣ رقم ١٨٥٤) عن أم سلمة (ص١٤٨).

(٤) هذا حديث طويل رواه أبو داود في الملاحم باب الأمر والنهي (رقم ٤٣٣٦)، والترمذي في أبواب التفسير باب من تفسير سورة المائدة (رقم ٣٠٥٠)، وابن ماجه في الفتن باب الأمر بالمعروف (رقم ٤٠٠٦) وفي سنده عند جميعهم انقطاع لأن أبا عبيدة بن عبد الله بن مسعود لَم يسمع من أبيه كما نص عليه غير واحد، وقال الهيثمي في المجمع (ج٧ ص٢٦٩): رجاله رجال الصحيح.

ثُمَّ قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩) تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (٨٠) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [المائدة:٧٨-٨١].

ثُمَّ قال صلى الله عليه وسلم (والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر, ولتأخذن على يد الظالم, ولتأطرنه على الحق أطرا, ولتقصرنه على الحق قصرا أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض, ثُمَّ ليلعنكم كما لعنهم)(١) ومن حديث حذيفة رضي الله عنه أن النَّبِي صلى الله عليه وسلم (والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا من عنده ثُمَّ لتدعنه فلا يستجيب لكم)(٢). وعن أبي بكر رضي الله عنه أنه قام فحمد الله وأثنى عليه ثُمَّ قال: (أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ وأنكم تضعونَها على غير موضعها, وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيروه يوشك الله عز وجل أن يعمهم بعقابه)(٣). وقال صلى الله عليه وسلم (إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكرونه فإذا فعلوا ذلك عذب الله العامة والخاصة)(٤). فيا معشر المسلمين نداءً أنا أول معني به, أترون هذه النصوص وما في معناها خاصة بأحد دون أحد أو متناولة لشخص دون شخص؟ لا والذي قامت

السموات والأرض بأمره, لهي متناولة لكل فرد من الأفراد المكلفين كل بحسبه وكلما كان المكلف أقدر على تغيير المنكر من غيره كان تناولها له وتكليفه بِما فيها أشد وأغلظ ممن هو دونه.

جعلنا الله وإياكم بطاعته عاملين، وجنبنا وإياكم سبيل المجرمين، وموارد الظالمين إنه هو أرحم الراحمين.

وسأكتفي بِهذا القدر اليسير الممتع من الأمثلة المقتطفة من القصائد والمنظومات والخطب المنبرية لشيخنا الجليل لتكون تذكرة للقراء الكرام بصاحبها للدعاء له والاستفادة من علومه وسلوكه ومعارفه، فرحمه الله وجميع العلماء الربانيين الأولين منهم والآخرين وجمعنا بِهم وحشرنا في زمرتِهم مع المنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

* * *

إسهام الشيخ - رحمه الله - في الدعوة إلى الله وبذل النصح لعباد الله

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه الترمذي في الفتن باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (ج ٤ رقم ٢١٦٩ ص ٤٦٨) وفيه عبد الله بن عبد الأشهل لَم يوثقه غير ابن حبان, وقال يحيى بن معين: لا أعرفه وباقي رجال السند ثقات ويشهد له حديث عائشة عند ابن ماجه بلفظ: (مروا بالمعروف وانْهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم) وفي سنده ضعف.

(٣) رواه أبو داود في الملاحم باب الأمر والنهي (رقم ٤٣٣٨)، والترمذي في أبواب التفسير تفسير سورة المائدة (رقم ٢١٦٨ ص ٤٦٧)، وابن ماجه في الفتن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (رقم ٤٠٠٥) وإسناده صحيح.

(٤) رواه أحمد في المسند (ج ٤ ص ١٢٩) من رواية عدي بن عدي الكندي، ومولى عدي لَم يسمَّ، وباقي رجاله ثقات وله شواهد يرتقي بِها إلى درجة الحسن.

لقد سبق الحديث عن مؤلفات شيخنا -رحمة الله علينا وعليه- سواء منها ما كان مطبوعاً وما كان مخطوطاً وما كان منظومًا وما كان منثورًا، ومن خلال ذلك العرض السريع المختصر تجلت عناية الشيخ البالغة بجمع العلوم النافعة, والتوسع فيها

والحرص التام على نشرها, وبالأخص التوسع في فن العقيدة الإسلامية , نظمًا ونثرًا سالكًا في ذلك مسلك السلف الصالح أهل السنة والجماعة, الذين ترسموا خطى النَّبِي الكريم ودرب أصحابه الغر الميامين ومن نَهج نَهجهم القويم, من أهل القرون المفضلة الذين خصوا بشهادة خاتم النبيين وأشرف المرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، مع بذل الجهد في التأييد للحق ونصره, ونصر ذويه والرد للباطل بإرسال صواعق الأدلة الَّتِي تزلزل قلوب المبطلين, وتمحق كيد الخائنين، فكم من طائفة زائغة قد قذفها بشهاب قلمه السيال، وكم من متعصب مخذول قد أزهق باطله بصحيح المقال، وكم من تائه حيران قد أنار له السبيل فاهتدى إلى صالح الأعمال، وكم من معرض عن تجارة المؤمنين وخلق الصالحين فأيقظه بفنون الترغيب والترهيب فاستعد للقاء الكبير المتعال.

ومن يرد شهادة على ما أمليت وبراهين ساطعة تثبت ما ادعيت, فليقرأ مؤلفات شيخنا الجليل من منظوم ومنثور وبالأخص معارج القبول وأعلام السنة المنشورة، والسبل السوية، والجوهرة الفريدة وغيرها من تلك المؤلفات الفريدة

الزاخرة بالعلوم والمعارف الَّتِي لَم تتوفر لعلماء عصره ولا لمن أتى من بعده, كما توفرت لديه إلى يومنا هذا.

ولشيخنا إسهام كبير في الدعوة إلى الله, وفي بذل النصح لعباد الله وما ذلك إلا لأنه كان يؤمن بأن الدعوة إلى الله وبذل النصح لعباد الله من فرائض هذا الدين العظيم, وعلى مثله يتعين القيام بذلك فألزم نفسه بالقيام بالدعوة إلى الله على بصيرة، وسلك في سبيل ذلك أساليب شتى وطرقًا متعددة, بحسب حال المدعوين وحاجتهم ومستوياتِهم مترسمًا في ذلك منهج الرسل والأنبياء في دعوتِهم, فكان يؤدي هذه الفريضة تارة بالخطب في الجمع والأعياد والمناسبات المشروعة الأخرى، وتارة بإلقاء المحاضرات العامة، ومرة بتعليم العوام وتلقينهم أمر دينهم، وأما التدريس الذي هو أعظم طريق لتربية الأجيال فهو سبيله من بداية تتلمذه على شيخه عبد الله ابن محمد القرعاوي إلى أن توفاه الله، وهكذا القيام بالفتوى في المنطقة وإقامة فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحسب القدرة الشرعية، والحقيقة الَّتِي يجب أن تذكر أن تأليف الشيخ حافظ دعوة إلى الله، وإدارته

دعوة, وتدريسه دعوة, ومحاضراته دعوة, وزياراته للأعيان وطلاب العلم دعوة, وسلوكه الإسلامي دعوة خالصة لله. فالرجل داعية إلى الله في إدارته وفي حلقة تدريسه وفي محراب صلاته وفي جلساته التعليمية وجلساته العادية، وفي حال إقامته وفي حال سفره القريب أو البعيد، وهكذا ظل شيخنا على تلك الحياة الطيبة المباركة حياة التحصيل للعلم ونشره ودعوة الخلق إليه وترغيبهم فيه، وأمرهم بالمعروف ونَهيهم عن المنكر والجد في إحياء السنة وقمع البدعة, والرد الوافي الكافي على أصحاب البدع وأهل الإنحراف حتى توفاه الله القائل في محكم تنْزيله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران:١٨٥].

وكان ذلك في اليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة سنة ١٣٧٧هـ على إثر مرض ألم به وهو في حسن الشباب وتمام القوة -وأن القوة لله جميعًا- وكان عمره حين الوفاة خمسة وثلاثين عامًا وثلاثة أشهر، ودفن في خير البقاع إلى الله البلد الحرام مكة المكرمة, فرحمه الله رحمة الأبرار الأتقياء، وغفر له

مغفرة المجاهدين الشهداء, ورفع درجته بحشره يوم القيامة في زمرة الرسل الكرام والأنبياء, ونحن يا ربنا نمد أكف الضراعة إليك، ونطمع في الفضل والإحسان الذي في يديك, نسألك أن تجعلنا من حزبك المفلحين وأوليائك المتقين، وأن تحسن إلينا بمغفرة الذنوب وستر العيوب، وأن تحشرنا في موكب الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين إنك أكرم مسئول, وخير مرجو ومأمول.

* * *

رثاؤه

وقد رثاه -رحمه الله- كثير من العلماء والأدباء بمراث عديدة, نظمًا ونثرًا فمن القصائد قصيدة للشاعر الكبير زاهر بن عواض الألمعي -حفظه الله- قال في مطلعها:

لقد دوى على المخلاف صوت ... نعى النحرير عالمها الهماما

تفجعت الجنوب وساكنوها ... على بدر بِها يمحو الظلاما

وذاعت في الدنا صيحات خطب ... فهزت من فجائعها الأناما

فكفكفت الدموع على فقيد ... على الإسلام شمر واستقاما

وأحيا في البلاد ربوع علم ... وواسى مقعدا ورعى يتامى

أحافظ كنت للعلياء قطبا ... وللإسلام طودا لا يسامى

وبحرا في العلوم بعيد غور ... كثير النفع قواما إماما

وقد خلفت آثارًا جساما ... فرائد خرَّدا عظمت مقاما

نشرت العلم فانتعشت بلاد ... ونالت في مطالبها المراما

ونورت الدجى بثمار فكر ... وهل للفكر ما يجلو الظلاما

ألا صبرا بني جازان إنا ... لنبكى مثلكم هذا الهماما

ولكن ذاك دولاب المنايا ... يدور وليس يستثنى العظاما

فقيد الفضل فضلك سوف يبقى ... منارا في الزمان وإن تراما

حباك الله رضوانا وخلدا ... وألهمنا على الصبر اعتصاما

ومن المرثيات النثرية ما قاله الأستاذ الشاعر محمد بن علي السنوسي -رحمه الله- تحت عنوان "من أعلام الجنوب":

استهلها بِهذا البيت:

والموت نقاد على كفه ... جواهر يختار منها الجياد

ثُمَّ قال: انطفأت شعلة ذكاء وقاد، وطوى الموت صفحة من صفحات الفضل وعلمًا من أعلام النبوغ، فإنا لله وإنا إليه راجعون, كان حافظ الجوهرة اللامعة في تلك المدارس القرعاوية، والشجرة الفارعة من ذلك النبات العلمي, فقد كان -رحمه الله- أعجوبة من أعاجيب الشباب الصالح الطامح، ونابغة من نوابغ الجيل الماهد الصاعد, تردد اسمه على الأسماع, وذاع ذكره في الأصقاع، ولَم يتجاوز عمره العشرين عامًّا فأعاد إلى الأذهان العربية ذكرى أفذاذ العلماء ونوابغ الحفاظ، الذين حفظ لنا التاريخ من أعاجيبهم في حدة الذكاء وسرعة الفهم، وروعة الحفظ, إلى أن قال: رحم الله حافظًا لقد كان مفخرة من مفاخر البلاد، وعلمًا من أعلامها ومثلاً من أمثلة النباهة والنبوغ الخ. وأنا أقول: مرة أخرى بل وفي كل وقت وحين, رحم الله شيخنا الجليل لقد كان قدوة صالحة لمن خالطه أو تتلمذ على يديه أو أتى من بعده فسمع عن سلوكه الحسن وخلقه العظيم وأدبه المستقيم، حقًّا لقد كان علمًا بارزًا في سماء المنطقة ونورًا مضيئًا في جنباتِها ومؤلفًا قديرًا قد

أثرى بفنون العلم مكاتباتِها، وأديبًا فاضلاً ومؤرخًا حاذقًا لنشأة الدعوة الإسلامية وتطوراتِها. وعبدًا صالحًا زاهدًا تقيًّا ومجاهدًا كريمًا ومخلصًا في جميع أعماله، لدينه وأمته وفيًّا، يوقر من الناس الكبير, ويرحم منهم الصغير، ويؤنس اليتيم ويطعم لوجه الله المسكين الفقير.

وأخيرًا: فما هذه الأحرف الَّتِي سطرتُها, والجمل الَّتِي دونتها إلا نبذة موجزة ولمحة خاطفة عن البارز من حياة صاحب الترجمة الذي يعتبر مفخرة عظمى من مفاخر أمة الإسلام وداعية إلى الله ناجحًا من دعاتِها فله منا خالص الدعاء والمحبة الشرعية وتحية الإسلام والوفاء.

* * *

ذكر أفراد من أقران الشيخ حافظ

كل الذين ارتووا من علم الداعية المجدد الشيخ/ عبد الله بن محمد القرعاوي يعتبرون أقرانًا لعلمنا المترجم وهم في الحقيقة إنَّما يعدون بالمئات لا بالآحاد والعشرات، ومن اللطائف الجديرة بالتدوين أن معظم أولئك الأقران والزملاء

للشيخ أصبحوا تلاميذ له يأخذون عنه علوم الشريعة واللغة بانتظام مع أن بعضهم كان أكبر منه سنًّا وأقدم طلبًا للعلم وأسبق تلقيًّا من الشيخ الداعية المجدد، أذكر من هؤلاء الأقران على سبيل المثال:

١ - الشيخ / محمد بن أحمد الحكمي "أخو الشيخ حافظ" وهو أكبر منه سنًّا.

٢ - الشيخ / حسين بن محمد النجمي.

٣ - الشيخ / أحمد بن يحيى النجمي.

٤ - الشيخ / أحمد بن محمد جابر المدخلي.

٥ - الشيخ / حسن بن زيد النجمي.

٦ - الشيخ / محمد بن محمد بن جابر المدخلي.

٧ - الشيخ / منصور بن منصور بهلول المدخلي.

٨ - الشيخ / ناصر بن خلوفة طياش مبارك.

٩ - مرعي بن أحمد عبده قحطاني.

١٠ - عمر بن أحمد جردي المدخلي.

١١ - حسين بن أحمد حسين النجمي.

١٢ - الشيخ / جابر بن ناصر المدخلي.

١٣ - محمد سراج مباركي.

١٤ - هادي بن هادي المدخلي.

١٥ - علي بن حمد عريشي.

١٦ - موسى بن حاسر السهلي.

١٧ - إبراهيم الزكري.

١٨ - هادي بن علي بن مطيع.

وغير هؤلاء كثير وقد ذكر الشيخ علي بن قاسم بن سلمان الفيفي عددًا أكثر لأقران الشيخ حافظ في كتابه "السمط الحاوي لأسلوب الداعية الشيخ عبد الله القرعاوي".

أما تلاميذ الشيخ حافظ فهم ذوو عدد كثير لا يستطاع حصرهم في هذه المحاضرة المحدودة بزمن معين وموضوعات كذلك وفق الله الجميع ورزقهم الاعتصام بالسنة.

* * *

الخاتمة

وإن كان لي من كلمة إثر هذه الترجمة المختصرة الزاخرة بالمحاسن والمكارم والفضائل, فإنني أقول: وأعوذ بالله من اللغو في القول, وأعوذ به من الفساد في القصد, والزلل في العمل, إن من أهم المقاصد لذكر تراجم الأخيار أحياءً وأمواتًا من علماء ربانيين أو قادة فاتحين ومجاهدين مخلصين وعباد لله قانتين ثلاثة:

الأول: التأسي بالمترجم له في حياته المباركة الطيبة الَّتِي جعلها كلها تضحية في سبيل الله لينال منه الرحمة والمغفرة والرضا.

الثاني: التعرف على حقيقة حاله كي تطمئن النفوس المحبة للحق وأهله, والراغبة في العيش الكريم في ظله إلى ما أثر عنه من قول وفعل صالحين, ومن ثُمَّ يحصل التنافس في الوصول إلى صفاته الإسلامية الرفيعة وأخلاقه الفاضلة النبيلة وسلوك منهجه القويم الذي تأسى فيه بالرسول الكريم ﷺ.

ثالثًا: الدعاء الخالص له كلما ذكرت محاسنه وقصت مناقبه وسجاياه الَّتِي أورثته محبة الله والصالحين من عباده في أرضه وسماه, وعلمنا الفاضل الجهبذ الذي قرأنا ترجمته المختصرة آنفًا له -كما سمعتم- صفات جلى ومناقب عظمى, منها ما جبل عليه ومنها المكتسب, وأنه قد ضرب لنا أروع مثل في طلب العلم من حيث المحبة له والجد والاجتهاد في تحصيله والعمل به والدعوة إليه، والترغيب في التوسع في فنونه بل وفي تعليمه ومذاكرته ونشره فما مدى تأسينا به في هذا الأمر المهم بالذات؟؟ أقول: إنه ينبغي لنا أن نسعى بقدر الإمكان ونحرص أبلغ الحرص على التوسع في طلب العلم الشرعي الشريف, شرطًا ليحفظ شرع الله وتعلم أحكامه ويتبين للناس حلاله وحرامه, وليس شرطًا أيها الأحبة الكرام أن نصل إلى ما وصل إليه علمنا المترجم فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وإنَّما علينا أن نسير في الطريق إلى طلب العلم من بابِها, فنهيئ أنفسنا لذلك بتنظيم المكتبات في بيوتنا وتزويدها بالكتب النافعة المفيدة ذات الفنون المختلفة من عقيدة وشريعة ولغة وغيرها مِمَّا لا يستغنى عنه من يريد التوسع في العلم الشرعي الشريف, ميراث الرسل الكرام

والأنبياء العظام وفخر العلماء الربانيين من الأنام، نعم ننظم المكتبات وننميها من أجل الإطلاع على ما أودعه فيها علماؤنا الأعلام, ليكون لنا خير زاد كي ننتفع به وننفع البلاد والعباد، وفي الوقت الذي نَهتم فيه بالعناية بالمكتبة المنزلية, نَهتم أيضًا بالأخذ عن المشائخ الموثوق بِهم وبقدراتِهم العلمية إذ لا غنى لطالب العلم عنهم، ولا سبيل إلى تحصيل العلم بدون الرجوع إليهم مهما كانت سرعة الفهم وقوة الذكاء. وكلما أحرزنا علمًا فإنه يتعين علينا نقله إلى محتاجيه وما أكثرهم في هذا الزمان في كل مكان.

حقًّا إن الناس في كل بادية وحاضرة وفي كل سهل وجبل بحاجة ماسة إلى الداعية العالم البصير, والخطيب الناجح القدير , والمعلم الفاهم المحسن المستقيم, والآمر الناهي والمجاهد المخلص والطبيب والأمين, ومتى وجد التفاعل من العلماء مع العلم إحرازًا ونشرًا ودعوة إليه وجهادًا به وأمرًا ونَهيًا ومثابرة وصبرًا فإن النتيجة ستكون تكوين أسرة مسلمة، ومجتمعات مسلمة ودولة مسلمة وأمة مسلمة، وذلك بفضل الله ثُمَّ بفضل من اختاروا لأنفسهم طريق التوسع في طلب العلم

الذي لا يوجد أحد أجل قدرًا عند الله من حامله وأعظم أجرًا من العامل به، وأسعد حياة وأرفع درجة من ناشره ومعلمه محتاجيه ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: من الآية ١١]. إن العلماء ورثة الأنبياء, ألا وإن مِمَّا يؤسف له صنيع قوم جلسوا على كرسي الطلب ستة عشر عامًا. ثُمَّ لما تولوا أعمالاً حرة أو رسمية في أجهزة الدولة أقفلوا على أنفسهم باب التحصيل العلمي بعدما تَهيئوا لكيفية التوسع في أبوابه وإحراز مسائله بدون مسوغ شرعي بل حبًّا للراحة وعدم فهم لقدر العلم والعلماء، وإنني لأدعو نفسي إلى فعل ما أنصح الخلق بفعله، وأدعو هذا الصنف من الناس الذين قد سهل لهم طريق العلم واستضاءوا بنوره أن يسعوا جادين في إتمام ذلك النور بدوم ملل ولا فتور، ولا تشاغل بلذات الحياة عن افتضاض أبكار مسائل العلم وإحراز حكمه وأحكامه, ولا يكون لذلك منتهى حتى يأتيهم من ربِّهم اليقين وفي الحديث: (منهومان لا يشبعان، طالب علم، وطالب مال) (١).

ولقد أحسن القائل:

وإذا كانت النفوس كبارا ... تعبت في مرادها الأجسام

كما أحسن الآخر حين قال:

ولا تقل عاقني شغل فليس يرى ... في الترك للعلم من عذر لمعتذر

وأي شغل كمثل العلم تطلبه ... ونقل ما قد رووا عن سيد البشر

ألهى عن العلم أقوامًا تطلبهم ... لذات دنيا غدوا منها على غرر

وخلفوا ماله حظ ومكرمة ... إلى الَّتِي هي دأب الهون والخطر

يفنى الرجال ويبقى علمهم لهم ... ذكرًا يجدد في الآصال والبكر

ويذهب الموت بالدنيا وصاحبها ... وليس يبقى له في الناس من أثر

وأنتهز الفرصة أيضًا فأقدم نصيحتي لطلاب العلم من الشباب الذين أكرمهم الله بقوة الجسم وقوة العقل والقلب, أن يقبلوا على طلب العلم بعناية بالغة وأن يأخذوه من مظانه وأن يلازموا أهله قبل فقدهم فإنَّهم إن لَم يفعلوا ذلك في سن الشباب صعب عليم إحرازه في سن الكهولة والشيخوخة ورحم الله القائل:

تصبَّر على مر الجفا من معلم ... فإن رسوب العلم في نفراته

ومن لَم يذق مر التعليم ساعة ... تجرع ذل الجهل طول حياته

ومن فاته التعليم وقت شبابه ... فكبر عليه أربعًا لوفاته

وذات الفتى والله بالعلم والتقى ... إذا لَم يكونا لا اعتبار لذاته

---

(١) أورده الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته معزوًا إلى ابن عدي من حديث أنس وإلى البزار من حديث ابن عباس وهو صحيح.

وأعزز نصيحتي للشاب بقصة شاب من الرعيل الأول هو عبد الله بن عباس ترجمان القرآن، وحامل لواء الفقه الإسلامي أيام حياته المباركة حيث قال: لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا شاب قلت لشاب من الأنصار: هلم فلنسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونتعلم منهم فإنَّهم كثير، قال الشاب الأنصاري: عجبًا لك يا ابن عباس أترى الناس يحتاجون إليك وفي الأرض من ترى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم , قال: فتركته وأقبلت على المسألة وتتبع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم , فقد كنت آتي الرجل في الحديث يبلغني أنه سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم

, فأجده قائلاً فأتوسد ردائي على بابه تسفى الريح على وجهي حتى يخرج فإذا خرج قال: يا ابن عم رسول الله مالك، فأقول: بلغني حديث عنك أنك تحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم , فأجبت أن أسمعه منك، قال: فيقول: هلا بعثت إليَّ حتى آتيك فأقول: أنا أحق أن آتيك, فكان الرجل الأنصاري بعد ذلك يراني وقد ذهب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتاج الناس إليَّ فيقول: كنت أعقل مني يا ابن عباس. حقًّا أيها الأخوة الكرام إن في القصة لعظة بالغة، وتوجيهًا سليمًا، ودعوة للشباب رحيمة تنقلهم من الجهل إلى العلم ومن الغفلة إلى الاستيقاظ، وترغبهم في كسب العلم الشريف ونشره، وتَهيب بِهم ليتنافسوا في تحصيله بعزيمة قوية ونية خالصة لينتفعوا به ويرتفعوا درجات، فيصبحوا في الخير سادة وقادة، وينفعوا أهل زمانِهم بالتعليم والفتوى, وحل المشكلات الَّتِي لا يقدر على حلها بالوجه الشرعي إلا نجوم الأرض أعني العلماء فهل من مدكر, اللهم نعم.

ثُمَّ إن من الجوانب المشرقة الَّتِي سمعناها وقرأناها في ترجمة شيخنا -بلَّ الله بوابل الغفران ثراه- موقفه الحكيم من الدعوة

إلى الله ونظرته الرحيمة إلى المجتمع الإسلامي الكبير وإلى المجتمع من حوله، وكذا نظرة المجتمع إليه, فاقتنعنا بأن الرجل نذر حياته كلها في سبيل الدعوة إلى الله سالكًا في أدائها شتى الطرق النافعة المفيدة، وخير الأساليب المجدية اللطيفة، مترسمًا خطى الأنبياء والرسل فيها، وقد تجلى ذلك واضحًا في مؤلفاته المباركة وسلوكه الحسن, حتى أتاه من ربه اليقين, وسبب هذا التفاني في حمل الدعوة إلى الله هو إيمانه العميق بفرضيتها على طلاب العلم وأهل المعرفة، ثُمَّ الحرص القوي على التأسي بمن بعثهم الله دعاة مخلصين ومعلمين للبرية صادقين ناصحين, أولئك هم رسل الله وأنبياؤه الذين جعلهم أئمة وأوحى إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا له خاشعين وبأمره قائمين، ثُمَّ قناعته أيضًا أن المؤمن لا يكمل إيمانه وصلاح نفسه حتى يسعى جادًا في إصلاح غيره بكل ما آتاه الله من علم وحكمة وقدرة على نشر الخير ورحمة.

ونحن أيها القراء الكرام والمستمعون الأحباب ما أحوجنا إلى الأجر المترتب على القيام بالدعوة إلى الله، وما أعظم الخطر

الذي يهددنا متى أهملنا هذا الواجب العظيم المقدس، وأضعنا تلك الفريضة العظيمة -فريضة الدعوة إلى الله- الَّتِي لا تستغني عن أهلها أمة من أمم الأرض ولا مجتمع من مجتمعاتِهم ولا أسرة من أسرهم, بل ولا فرد من أفرادهم, لاسيما في هذا الزمان الذي قد كثرت فيه الشرور، وتتابعت فيه الفتن وانتشرت فيه البدع واختفت فيه السنن، وتحققت غربة الدين، وتعددت فيه وسائل الزيغ والانحراف الَّتِي تصد عن الحق المبين, وهدى رسول رب العالمين, لهذا وغيره فإنه يجب على كل طالب علم من ذكر وأنثى أن يجند نفسه ويبذل جهده في سبيل إيصال الخير والنور إلى البشرية كلها, لتحيا بعد موتِها وتستيقظ من غفلتها وترشد بعد جهلها وضلالها، وأن يستعمل في ذلك أنجح الطرق وشتى الوسائل وأرقى الأساليب الدعوية الَّتِي تكون عونًا له على انتشال أهل الجهل والغواية مِمَّا هم فيه وعليه من ذلك الجهل والضلال والغواية، إلى نور العلم والفقه في الدين وعز الطاعة والهداية.

هذا هو واجب طلاب العلم شاءوا أم أبوا أقدموا أم أحجموا، فمن اقتنع وتلافى ما قد حصل من تفريط وقصور في جنب

الدعوة إلى الله وذلك بالمسارعة إلى العمل في حقلها بالحكمة والموعظة الحسنة فقد سلك طريق الهداية والرشد والبلاغ، وإن ذلك ليسير على من يسره الله عليه من أهل العلم النافع والعمل الصالح والنصح الخالص لعباد الله في أرضه, الذين يحبون إيصال الخير إلى الغير ممن وجبت دعوتُهم وتعين علينا نصحهم وتعليمهم ما استطعنا إلى ذلك سبيلا، وأما من صير العلم منا سلمًا لكسب المال وإحراز المنصب والجاه أو اعتبره حرفة يتوصل بِها إلى تأمين لقمة العيش، وبناء المستقبل المادي فإنه سوف يندم ندامة كبرى يوم يسأل كل ذي علم عما عمل فيه، وقد جاء في سنن أبي داود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبِي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من تعلم علمًا مِمَّا يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا لَم يجد عرف الجنة يوم القيامة).

ولقد أحسن القائل:

ولَم أقض حق العلم إن كنت كلما ... بدا طمع صيرته لي ساما

أأشقي به غرسًا وأجنيه ذلةً ... إذًا فاتباع الجهل قد كان أحزما

ثم لقد عرفنا مِمَّا مضى في ترجمة هذا العالم الهمام -أمطر الله على قبره شآبيب الرحمة والغفران- نظرته إلى المجتمع الإسلامي الكبير ونظرة المجتمع إليه, ولقد آن لنا أن نأخذ من ذلك درسًا نافعًا وقدوة صالحة في كل ما فيه رفعة الإسلام وعز المسلمين في دينهم ودنياهم، ولقد جاء في الأثر: (ومن لَم يهتم بشأن المسلمين فليس منهم). وإذ كان الأمر كذلك فإنه يجب على كل مسلم ومسلمة أن يحبوا لإخوانِهم التمتع بكل خير وهدى وفضيلة والابتعاد عن كل شر وبلاء ورذيلة، ومتى تحقق لدى المسلمين هذا الواجب العظيم أنزل الله عليهم فضله المدرار وخيره العميم، وما ذلك إلا لصفاء قلوبِهم وطيب نفوسهم، وحسن سلوكهم فيما يتعلق بحقوق الله عليهم، وفيما يتعلق بحقوق الخليقة كذلك.

أيها الأخوة الكرام ولقد رأينا في نِهاية ترجمة شيخنا الكريم كيف وافاه الأجل المسمى لانتقاله من دار العمل إلى دار الجزاء وهو في تمام من القوة الحسية والمعنوية, واعتبرت وفاته من المصائب العظام الَّتِي فجع بِها كثير من الأنام وبالأخص طلاب العلم منهم، وقد رثاه شعراؤهم وأبَّنَهُ أدباؤهم, وبكاه وترحم

عليه علماؤهم وعقلاؤهم، وصار موته ثلمة في الإسلام لَم يأت أحد من بعده في منطقة الجنوب فيسدها، ولا غرابة أن يكون الأمر كذلك فإن الشيخ من العلماء الربانيين والمؤلفين البارعين والدعاة الناصحين وحقًّا ما جاء عن الإمام الحسن البصري أنه قال: " كانوا يقولون: موت العالم ثلمة في الإسلام لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار ". وأقول: أيها القارئ الكريم لعلنا نأخذ العبرة والعظة من مشهد موافاة الأجل المحتوم, لكل حي إلا الحي القيوم, فنستعد ليوم النقلة من دار العمل إلى دار الجزاء على العمل، ولعلنا أيضًا نحاول ونطمع أن يكون لنا قدم صدق عند ربنا، وأن يكون لنا لسان صدق في الآخرين كما كان لصاحب الترجمة وغيره من عباد الله الصالحين المصلحين, علينا وعليهم رحمة الله العزيز الرحيم, وقبل قفل الأبواب ورفع القلم أحب أن أسجل وصية قصيرة خاصة لنفسي ولطلاب العلم وحملة الهدى الذي جاء به نبي الرحمة والهدى صلى الله عليه وسلم بالأمور التالية:

الأمر الأول: وجوب العمل بالعلم ظاهرًا وباطنًا رغبة فيما عند الله من الرضا والفضل العظيم، وخوفًا مِمَّا لديه من السخط

والمقت والعذاب الأليم، إذ الغاية من العلم العمل ومن خالف عمله علمه فالنار النار: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف:٢ - ٣].

الأمر الثاني: الاهتمام بنشر العلم، والعناية ببيانه للناس اقتداءً بأنبياء الله ورسله والدعاة الصالحين الناصحين من عباده وخروجًا من تبعة الكتمان الذي توعد الله ورسوله صاحبه بأشد الوعيد حيث قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۙ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٥٩ - ١٦٠].

وقال النَّبِي صلى الله عليه وسلم (من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة). رواه أحمد في مسنده وإسناده حسن.

الأمر الثالث: وجوب الإخلاص في طلب العلم والعمل به ونشره فإن الإخلاص شرط أساسي في قبول الأعمال لقول الله تعالى:

{فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} [الكهف: من الآية ١١٠].

ولقول النَّبِي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى: (أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه).

الأمر الرابع: الصبر على المشقة في الطلب بأي وسيلة من وسائل الطلب، والصبر على الأذى في النشر والتبليغ إذ أن طالب العلم المبلغ عن الله أمره ونَهيه ومراده من خلقه, لابد أن يناله الأذى شأنه في ذلك شأن الرسل والأنبياء الذين نالهم من الأذى أثناء دعوتِهم للخلق مالا مزيد عليه, كما جاء ذلك موضحًا في القصص القرآن الكريم, وأوضح مثال وأقربه ما حدث لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم أثناء دعوته إلى الله وجهاده المجيد في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى, وليفرد الرب بالعبادة وحده لا شريك له ولتحكم شريعته سبحانه في أرضه كاملة غير منقوصة.

والسلام عليكم ورحمة الله.

فهرس الموضوعات

المقدمة ٥

الباب الأول في بيان فضل العلم وشرف أهله ٨

العلوم الشرعية قسمان. ١٦

الفرق بين العلم النافع والعلم الذي لا ينفع. ٣٢

الباب الثاني الشيخ حافظ الحكمي: حياته وجهوده العلمية والعملية ٤١

جهوده العلمية والعملية ٤٥

أبرز صفاته الخَلْقِيّة وحالته الاجتماعية ٤٩

أسباب نبوغه وتفوقه في العلم على جميع أقرانه بل وعلى سائر علماء زمانه ٥١

نظرته إلى المجتمع الإسلامي ونظرة المجتمع إليه ٥٤

تنقلات الشيخ الداخلية وأعماله في المنطقة ٥٦

مؤلفاته ٥٧

المخطوط من مؤلفاته - رحمه الله - ٦٣

الشيخ ناظم وشاعر. ٦٦

أمثلة متنوعة من شعره ٧٠

خطبة في زلزلة الساعة وأهوالها ٩٨

خطبة في كتابة الأعمال في الدنيا ونشر الصحف يوم القيامة ١٠٢

خطبة في الاعتبار. ١٠٥

خطبة في ذكر القرآن ووعيده أيضًا ١٠٨

خطبة في الزهد في الدنيا وذكر فراقها وتقلبها بأهلها إلى أن يفضوا إلى ما قدموا ١١١

خطبة في انجلاء الحقائق وافتراق الخلائق إذا خرجوا من الدنيا وأفضوا إلى الآخرة ١١٥

خطبة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ١١٩

إسهام الشيخ - رحمه الله - في الدعوة إلى الله وبذل النصح لعباد الله ١٢٤

رثاؤه ١٢٧

ذكر أفراد من أقران الشيخ حافظ. ١٣٠

الخاتمة ١٣٢

الفهرس .. ١٤٣